CENTRE
FRANÇAIS
D'ÉTUDES
YÉMÉNITES

المركز
الفرنسي
للدراسات
اليمنية

وَصفُ صَنعَاء

"مُستلّ من كتاب المنشورات الجليّة"



تأليف

السيد العلامة الرئيس جمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم
بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الشهاري
المتوفى بعد سنة ١١٧٦هـ

تحقيق

عبد الله محمد الحبشي

وَصْفُ صَنعَاء

* وصف صنعاء
«مستل من كتاب المنشورات الجلية»
* تحقيق : عبدالله محمد الحبشي
* طبعة أولى 1993

بيت العجمي □ شارع ٢٦ سبتمبر □ صنعاء - الجمهورية اليمنية □
ص.ب. ٢٦٦٠ □ هاتف: ٧٧٥٢٣ □ فاكس: ٢٧٠٧٢٥

ISBN 2-909194-00-0
Cliché de couverture: Sanaa, par Jean-Charles Depaule.

CENTRE FRANÇAIS D'ÉTUDES YÉMÉNITES

المركز الفرنسي للدراسات اليمنية

وَصفُ صَنعَاء

"مستلّ من كتاب المنشورات الجليّة"

تأليف

السيد العلامة الرئيس جمال الدين علي بن عبدالله بن القاسم
بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الشهاري
المتوفى بعد سنة ١١٧٦هـ

تحقيق

عبدالله محمد الحبشي

PRESENTATION

Cet ouvrage, " La description de Sanaa", est tiré du manuscrit "Al-Manšūrāt al-ǧaliyya" de Ǧamāl al-Dīn ʿAlī b. ʿAbd Allāh b. al-Qāsim b. al-Mu'ayyad bi-l-Lāh Muḥammad b. al-Qāsim b. Muḥammad al-Šahārī, mort après 1176/1762-1763. Son auteur, fils de l'imam al-Mu'ayyad bi-l-Lāh, se fait le chantre d'une ville qualifiée de lieu paradisiaque où la religion et les plaisirs terrestres trouvent leur accomplissement. Par l'éloge de la propreté de la ville, de la finesse de ses réalisations, notre témoin nous renvoie l'image d'une cité idéale où la pureté des lignes l'emporte sur les brisants du réel. Pourtant, au-delà de son aspect laudateur, ce texte nous fournit de nombreuses données sur l'histoire architecturale de la ville. L'auteur nous donne ainsi de longues descriptions de l'architecture des mosquées et des demeures de Sanaa, nous informant sur les méthodes de construction et sur quelques traits de l'organisation spatiale de l'époque. Il signale l'existence d'une communauté de Rājpūt à côté de celle des Banians à Sanaa, mentionne le nombre de synagogues et celui, plus approximatif, des boutiques waqf. Ces quelques indications n'épuisent évidemment pas toute la richesse de ce document qui ajoute un jalon précieux à notre connaissance de l'histoire urbaine.

En éditant ce texte, l'historien yéménite ʿAbd Allāh Muḥammad al-Ḥibšī, fait une nouvelle fois œuvre de pionnier et son rôle éminent dans la diffusion du patrimoine manuscrit de son pays doit être ici souligné. La liste des textes qu'il a édités est longue, plus d'une quarantaine de titres dont la publication a permis au public yéménite de se réapproprier une partie de son passé et aux chercheurs de lever le voile sur des angles de visions, des univers de pensée et des périodes historiques longtemps occultés.

Franck MERMIER

تقديم

هذه فوائد في وصف صنعاء للسيد الرئيس جمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الشهاري المتوفي بعد سنة ١١٧٦ هـ. وكان قد ضمها في كتابه المخطوط:

«المنشورات الجلية»

وقد فطن لها الباحث الجاد الاستاذ عبد الله بن محمد الحبشي وقد أدرك قيمتها التاريخية فاستلها من موضعها في المخطوط المشار إليه لتنشر منفصلة فيكون في نشرها فائدة أي فائدة.

إن الاستاذ الحبشي من بعض أهل العلم في اليمن الذين انصرفوا للدراسات التاريخية الادبية فكان له فيها انجاز كبير عرف المخطوط اليمني وعرف ما يتصل بالمصنفين من اليمنيين، ولكنه تجاوز هذه الرقعة فشعر ان حاجته تدعوه إلى أن ينظر في فهارس المخطوطات هنا وهناك فوقف منها على طائفة أخرى من هذه المظان كتبها غير اليمنيين في مسائل يمنية، عرف المؤرخين والرحالة منهم الذين قصدوا اليمن فتنفسوا فيها من «نفس الرحمن» وادركوا ان «الايمان والحكمة» من هذه الأرض المعطاء.

إن هذه الفوائد في وصف صنعاء التاريخية، قبل ما يقرب من

ثلاثة قرون، مفيدة وممتعة للدارس في التاريخ اليمني القديم المتبصر بما يفي من قديم القرون الغابرة مما شهد عليه المؤلف المصنف. وممتعة للدارس في علم الأصول والاعراق الذي يقف على شواهد مادية تتصل بأحاديث أمة لها هويتها التاريخية واهتماماتها الانثروبولوجية.

إن هذه الفوائد وثيقة مهمة ينبغي أن يكون لها مكان في متحف علوم الإنسان لما فيها من إشارات وخطط تتصل بفن العمارة للمدن.

أقول هذا لأني واثق أن زحف الفوضى الحضارية في امتداد الجديد، بقبحه ومادته الاسمنتية، يأتي على هذه البقايا العتيقة النفيسة التي تحمل عبق التاريخ. ان الحجارة العتيقة محاصرة ومغزوة بهذا الجديد الفاقد للصفات الخالدة التي تشير إلى عظمة اليمني القديم الذي أدرك فن العمارة، وإن البقية الضئيلة التي أمسك بها اليمنيون في عمارتهم كالحنيات والطيقان والقمريات، في العمارة اليمنية، لدليل على شيء يسير مما كان لهم في هذا الفن العريق.

ولعل اولو العلم والاختصاص من ذوي الشأن والحكم والمسؤولية سيعرفون هذا الأمر ويولونه ما يستحق من عنايتهم، ويعيدون للحجارة العتيقة، الحافلة بهذه الاشارات العمرانية، ما كان لها من مجد يوشك أن يسحقه هذا الجديد الوافد بحجة الاتساع الذي يفرضه عصر السرعة.

إن المرء ليقف باجلال عند هذا القديم الذي يوشك أن يزول، وهو يرى هذا الذي يدعى قديماً بالياً وما هو من البلي في شيء.

إن النفوس لتبكي والعقول لتضيع في حمأة هذا الجديد الوافد علينا وما هو إلا قضاء امتحنت فيه العقول فران عليها العمى والعماء.

«فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» أمنت بالله وصدق ربي اللطيف الخبير.

كتب في صنعاء ـ حرسها الله

في الثلاثين من شوال سنة ١٤١٢ هـ

الموافق الثالث والعشرين من نيسان سنة ١٩٩٢ م

إبراهيم السامرائي

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

صنعاء هي مدينة العلم والأدب وقد افتتن بحسنها وجمالها سائر المؤرخين والأدباء فوصفوها في العديد من آثارهم الأدبية والتاريخية ومنذ القرن الثالث الهجري نجد الجغرافي **ابن رسته** يقول في «**الاعلاق النفيسة**»، (ص ١٠٥): «صنعاء هي مدينة اليمن ليس باليمن ولا بتهامة ولا بالحجاز مدينة أعظم منها ولا أكثر أهلاً وخيراً ولا أشرف أصلاً ولا أطيب طعاماً منها. وهي مدينة جبلية معتدلة الهواء يعدل طيب هوائها في جميع السنة هواء ربيعياً في السنة إذا اعتدلت وطابت، ويفرش الفراش الواحد في مكان فلا يحول من ذلك المكان لحر ولا برد سنين كثيرة. وتدرك عندهم الحنطة دفعتين والشعير والأرز ثلاث دفعات وأربعاً ومن ثمارهم وعنبهم ما يدرك في السنة دفعتين أيضاً. وهي مدينة كثيرة الأهل طيبة المنازل بعضها فوق بعض إلا أنها مزوقة أكثرها بالجص والأجر والحجارة المهندمة، فمنها ما أساسها من الجص والآجر وسائرها حجارة مهندمة حسنة، وبعض أرض بنائها الجص والآجر وبعضها بالجص وأكثر سطوحها مفروشة بالحصا لكثرة أمطارها. ولأمطارها أوقات معلومة عندهم لذلك لا يخطئون، ويمطرون في شهور الصيف شهراً واحداً ومن الخريف تمام أربعة أشهر، ثم تنقطع الأمطار عندهم، فلا يمطرون أصلاً إلى مثل ذلك الوقت من

العام الآخر. وأكثر ابتداء مطرهم في الوقت الذي يمطرون فيه بعيد العصر. وربما تكون السماء نقية ولا يرى للمطر علامة والناس يحث بعضهم بعضاً على الفراغ من أعمالهم حذراً من المطر. فينشأ السحاب مع فراغهم، فيمطرون أكثره من وقت العصر إلى وقت المغرب فيجرف السيل جميع ما يكون فيها من القذى، ويغسل تلك الكورة بأسرها ويجري ذلك الماء إلى مزارعهم في مجار قد اتخذوها لهذا الأمر، لا يتعطل معه شيء من هذه المياه.

ولم يكن لهم سور في القديم، وأحدث ذلك بعد فتنة ابن يعفر ملكهم. ولمدينتهم شارع يشقها نصفين، ينفذ إلى واد تجري فيه السيول أيام المطر في عرض دجلة، أو أقل منها ويسمى السرار وعلى ضفتيه قصور مبنية من الجص والآجر والحجارة، وعامة هذه القصور للدباغين وإليه أيضاً ينفذ فوهة أزقتها وسوقها من ناحية مما يلي قبلتها وبعض هذا الشارع ولكل واحد من أزقتها بابان يفضي احدهما إلى هذا الشارع والآخر الى سور البلد، ومسجد جامعها بقرب سورها مبني من حجارة وجص. وهو مسجد كبير وذكر فقهاء تلك الناحية ان هذا المسجد بنى بأمر رسول الله (ﷺ) بعهده، وان في موضع المحراب قبر نبي من الانبياء. وكان يعظم ذلك قبل بناء المسجد في المتقدم من أجل ذلك أنه تولى بناءه رجل من أصحاب النبي (ﷺ).

وقبالة المسجد الجامع بالقرب منه على قدر عشرة أذرع قلعة أساسها من الصخر، وهي تعرف بغمدان موضع التبابعة، بناها سام بن نوح، وذكر فقهاؤهم انه أول بناء بعد الطوفان، وسمكها مرتفع جداً، وقد نقض عامة حواليها، واستعمل ما خرج منها من الحجارة حتى قال بعضهم انه اكتفى بما خرج منها من حجارة عن

نقل الحجارة إليها من غيرها. وفي هذه القلعة بئر يستقى منه الماء إلى هذه الغاية، ويقولون أنها بئر سام بن نوح. وفيها بئر أخرى وهي البئر التي وجد فيها قتيل من المسلمين في خلافة عمر، اشترك في قتله سبعة نفر فقتلهم عمر جميعاً به وقال: لو تمالى عليه أهل صنعاء لقتلتهم به، وهذا حديث معروف رواه سعيد بن المسيب عن عمـر وغيـره. وإذا ارتقى المـرقى البـاقي من بناء غمدان أشرف على جميع صنعاء، ولمساجدها اثنان وعشرون مؤذناً يؤذنون جميعهم في كل صلاة، أحدهم على أثر الآخر إلا في صلاة المغرب خاصة، ثم يؤذنون جميعاً في الإقامة بصوت واحد، وهم يمشون من المنارة إلى الصف، فأذا انتهوا إلى الصف يكونون قد فرغو من الإقامة وفي كل منزل من منازلهم بئر يستقى منها للشرب ويفضل ماء الآبار عن مياه العيون الجارية عندهم.

ووصف فقيه منهم انه وزن ماء من آبارهم قليلاً مع مثله من ماء دجلة. فوجد ماء البئر أخف من ماء دجلة. وبقرب كل مسجد من مساجدهم إلا القليل منها سقايه فهذا ماء للسبيل ومغتسل ومتوضى كله مصهرج. وفيها طاق كبير قد عقد من حجارة بقرب الجزارين، ذكر أهلها انه ذبح في هذا الموضع في الزمن الأول ستة عشر نبياً. وطعامهم البر النقي وهو شبيه بالحنطة الاّ انه أدق من الحنطة في سنابل لا تشبه سنابل الحنطة عليها قشرتان أحداهما قشرة السنبلة والأخرى قشرة مقاربة لقشرة الأرز، فيقشر من قشرته ويطحن ويخبز فيوجد طعمه أطيب من طعم خبز الحنطة. وعندهم فواكه سرية مثل أنواع التفاح والبرقوق وهو المشمش، والفرسك انـواع وهو الخـوخ، ومن أنواع الاجـاص ماليس بخـراسـان، والكمثري أنواع كثيرة، وعندهم على ما زعمو قريب من سبعين

لون عنب، وعندهم النخيل في قراها دون قصبتها، والموز عندهم كثير في كل موضع، يدرك الموز عندهم في كل أربعين يوم يقطع ثمره، ولا يقطع القطاف عندهم أبداً، وعندهم باقلا رطب وقصب سكر، وجوز، ولوز، وفستق، ورمان، وتين، وسفرجل وبطيخ حسن غير طيب يؤكل مع السكر، والقثاء، وأنواع الخضر، والأترج عندهم كثير كبار حلو الطعم، والوان الرياحين والورود والياسمين والنرجس والسوسن ألوان، وربما وجد كلها في وقت واحد. وعندهم العسل كثير ويفضلون لحم البقر على لحم الضأن السمين يشترى جميع ذلك بسعر واحد، ومن عندهم يجلب الأدم والنعال المشعرة، والانطاع، والبرود المرتفعة والمصبت، والأردية يبلغ الثوب من البرد عندهم خمس مائة دينار، وألوان الفصوص والأواني بقرانيه وسعوانيه والجزع وأنواع الخرز، يبلغ الفص من البقراني مائة دينار وأكثر. ولهم سوق على حدة، لا يباع فيها إلا المزامير قد شدوها حزماً ونضدوها في حوانيتهم، ولهم خانات كثيرة ومحال فيها خلق كثير يعملون انواع الجزع وانواع الخرز. وليس لشيء من مساجدها رحبه إلا للمسجد الجامع ووجوههم قوم نسل سيف بن ذي يزن في غاية السراوة والنبل، يتقدمون في ذلك وجوه سائر الكور، وهم قوم يرجعون إلى سخاء وكرم. وللحوم ضأنهم وبقرهم خاصية وذلك انها لا تنضج إلا على الجمر والوقود يسخنها ولا ينضجها.

وضياعهم أجل ضياع، وأكثرها فاكهة، وأحسنها عمارة، وهي على ثلاثة أصناف: صنف منها اعذاء. وصنف منها على العيون. وصنف على الآبار يستقي منها بالابل والبقر. وصنف وهي اسراها واكثرها قيمة على ماء السد، والسد سكر قد اتخذ على

فوهة جبال قد أحاطت بمواضع تقرب من ضياعها، قد نصبوا على أسافل ذلك السد أفواها يجرون منها المياه في انهار قد احتفروها إلى ضياعهم. وكانت قراهم عشرية قبل ولاية ابن يعفر، فوضع ابن يعفر بدل ذلك عليهم مائتي ألف دينار. ومعاملة أهل البلد بالدنانير المطوقة والدراهم السدسية والفلوس، فضرب الدرهم ربما ارتفع من الستين إلى المائة، والفلوس أربعة وعشرون بدرهم، ووزن كل درهم سدس درهم. وعندهم قرع كبار كل قرعة مثل جرة كبيرة يباع بالأمنان مقطعاً كلما كان أكبر كان أرطب. ونساؤهم حرائر، والناس ينتشرون في حوائجهم بالنهار ويجتمعون في مجالس الفقهاء وغيرهم بعد العتمة إلى وقت يضرب فيه الكوس المنصوب على غمدان، فيسمع ذلك أهل البلد فمن وجد قبل صوت الكوس لم يتعرض له ومن وجد بعد ذلك خارجاً حبس وعوقب. والغالب على عامة أهلها وعلى سائر اليمن التشيع واكثر أيمانهم ان يقولوا وحق أمير المؤمنين علي. ومن صنعاء على ستة فراسخ قلعة لابن يعفر صاحب اليمن تعرف بشبام، وشبام ليس لها طريق إلا طريق واحد ضيق يرتقى إليه من جبل صعب، وقد نصب عليها قنطرة يعبر إليها بها، وفيها قصور كثيرة تزيد عن خمس مائة، وقرى كثيرة تزيد عن أربعين قرية، فيها عيون وانهار ومزارع وبساتين ونخل ومواشٍ لا تحصى كثرة من الابل والدواب وغيرها. وفي نفس شبام سوق عظيم ومسجد جامع كبير، وهذه القلعة بجميع ما فيها من القرى كانت خاصة لابن يعفر هذا في خاصته وكبار قواده وقراباته، في هذه القلعة، وعساكره نزول على أهلها، وفيها مساكن ومرابض تحتمل ألوفاً من الرجال والدواب، وتخترقها عيون كثيرة الماء».

ويقول ابن خرداذبه في المسالك والممالك، (ص١٣٦، في الكلام على اليمن): «ويشق صنعاء واديها السرار يجري إذا جاء المطر في شهور الصيف ويصب في سعوان فيكون كانها بحيرة.

قال الشاعر:

وَيْلِي على ساكن شط السرار يسكنه ريم شديد النفار

وفي موضع آخر ص ١٥٦:

«وأهل الحجاز واليمن يمطرون الصيف كله ويخصبون في الشتاء فمطر صنعاء وما والاها حزيران وتموز وآب وبعض ايلول من الزوال إلى المغرب يلقى الرجل الرجل نصف النهار فيكلمه فيقول: عجل قبل الغيث لأنه لا بد من المطر في هذه الأيام».

ويقول ابن الفقيه الهمداني في البلدان، (ص ٣٤٠): «وسميت صنعاء بصنعاء آزال بن يقطن وهو الذي بناها وفي قوله عز وجل «بلدة طيبة ورب غفور» قال: صنعاء وقوله عز وجل غدوها شهر ورواحها شهر قال: كان سليمان يغدو من اصطخر ويروح بصنعاء ويستعرض الشياطين بالري، قال: وصنعاء أطيب البلدان وهي طيبة الهواء كثيرة الماء يشتون مرتين ويصيفون مرتين، وأهل الحجاز واليمن يمطرون الصيف كله ويخصبون في الشتاء فتمطر صنعاء وما والاها حزيران وتموز وآب وبعض أيلول من الزوال إلى المغرب، يلقى الرجل منهم فيكلمه فيقول له: عجل قبل الغيث لأنه لا بد من المطر في هذه الأيام».

ويقول أبو الحق إبراهيم بن محمد الاصطخري، المتوفي سنة ٣٤٦ في كتابه مسالك الممالك، (ص ٢٤) واصفاً صنعاء:

«وليس في جميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر أهلاً ومرافق من صنعاء وبلغني أنها من اعتدال الهواء بحيث لا يتحول الانسان عن مكان واحد شتاء وصيفاً عمره وتتقارب بها ساعات الشتاء والصيف، وبها كانت ديار ملوك اليمن فيما تقدم وبها بناء عظيم قد خرب فهو تل عظيم يعرف بغمدان كان مقراً لملوك اليمن وليس في اليمن بناء أرفع منه».

ثم جاء الهمداني الحسين بن أحمد في النصف الأول من القرن الثالث فأطنب كثيراً في وصف صنعاء ومحاسن دورها وشوارعها وهوائها يقول في صفة جزيرة العرب، (ص ١٠٢):

«صنعاء هي أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها ما بينها وبين عدن كما بينها وبين حد اليمن من أرض نجد والحجاز. وكان اسمها في الجاهلية ازال ويسميها أهل الشام القصبة وتقول العرب لا بد من صنعاء ولو طال السفر. وينسب إلى صنعاء صنعاني مثل بهراء بهراني لأنهم رأوا النون أخف من الواو وخولان لا تنسب إليها إلا بنية الأصل صنعاوي. وصنعاء أقدم مدن الأرض لأن سام بن نوح الذي أسسها، ولم يزل بها عالم وفقيه وحكيم وزاهد ومن يحب الله عز وجل المحبة المفرطة ويخشاه الخشية اليقظى، على نحو ما ذكر بطليموس في طبائع أهل هذا الصقع. وهم مع ذلك أهل تميز لعارض الأمور وخدمة السلطان بأهبة وتملك وتنعم في المنازل، ولهم صنائع في الأطعمة التي لا يلحق بها أطعمة بلد. ولهم خط المصاحف الصنعاني المكسر والتحسين الذي لا يلحق به، ولهم حقائق الشكل ذكرهم بذلك الخليل. ولهم الشروط دون غيرهم ولا يكون لفقيه من أهل الامصار شرط إلّا ولهم ابلغ منه وأعذب لفظاً وأوقع معنى وأقرب اختصاراً».

وفي القرن الرابع المقدسي في مواضع متفرقة يصف صنعاء بطيب الهواء «**احسن التقاسيم**»(ص ٤٢) وان «صنعاء فاقت البلاد» «٧٢». ويقول: «صنعاء هي قصبة نجد اليمن وقد كانت أجمل من زبيد وأعمر وكان الاسم لها. وأما اليوم فقد اختلت غير ان بها مشايخ لم أر بجميع اليمن مثلهم هيأة وعقلاً، ثم بلد رحب كثير الفواكه رخيص الأسعار، أخباز حسنة وتجارات مفيدة أكبر من زبيد ولا تسأل عن طيب الهواء فأنه عجب ومع ذلك رفق معف».

«والغالب على صنعاء وصعدة أصحاب أبي حنيفة» ص ١٩.

«ومن أراد العقيق اشترى قطعة أرض بموضع بصنعاء ثم حفر فربما خرج له شبه صخرة وأقل وربما لم يخرج شيء» ص ٩٦.

أحمد بن عبد الله الرازي المتوفي سنة ٤٦٠:

«حدثني أبو عبد الله محمد بن عمر بن عبد الرحمن الجرجاني قال: لما رحت من صنعاء وصرت إلى البصرة حضرت مجلس القاضي ـ قد سماه ذهب عني اسمه من ولده عبد الواحد ـ فسألني عن مجيئي إلى البصرة من أي بلد انتقلت، قلت: من صنعاء فأقبل عليّ القاضي بوجهه فسألني عن صنعاء فوصفتها شيئاً شيئاً وقلت له فيما قلته: انها بلدة من قدمها من غرباء ومن وطأها من أهلها فرش فيها فراشاً لنومه لا يحتاج أن يغيره ولا يفقده ولا يتحول منه إلى غيره إلا أن يخشى ضرورة تلحقه، ولا يرى شيئاً يؤذيه ولا هواء يخرجه ويلجئه ان يتحول منه فهو على حالته ما دام قاطناً أو ساكناً إلى وقت يخرج منها إلى غيرها. وهذا لم نره إلا فيها.

ومن طبخ فيها لحماً أو شوى حملاً أو جدياً لم يتغير اليومين

والثلاثة والأربعة والخمسة، فأما ما طبخ بالخل فإنه يبقى أمداً إلى أن يشاء صاحبه أن يأكله في الوقت الذي يختاره. وهذا لم نره إلا فيها. . ويدخل الرجل الحمام فيمكث فيه الساعة حتى يبتدي عرقه ثم يعرق حينئذ، وليس بها شيء يؤذي من العقارب المجحفة ولا الأفاعي القاتلة.

وذكر له أنواعاً كثيرة مما فيها من الطيب مما لم يجعله الله لغيرها من البلدان فقال القاضي: ما اعلم أن تحت السماء أطيب من هذه البلدة يعني صنعاء. ولها مطر الخريف ويكون المطر بها في تموز وحزيران وهذا مطر لا يكون إلا بها ونواحيها كما قال الحرقي:

ولو أني هممت بغسل ثوبي   في حزيران ظل يوماً مطيراً.

ويلتقي أهل البادية الذين حول صنعاء في أسواق صنعاء يتحوجون حوائجهم في أول النهار فيقول بعضهم لبعض: إقض حاجتك وعجل رواحك قبل أن يقع المطر، فيقع المطر في آخر النهار وذلك إذا صارت الشمس في الأسد وسامتها، وفي الثور آخر نيسان وأول أيار.

وبها بساتين وفيها ثمار وفواكه حسان ويجود فيها التين والرمان وضروب الزهور والورود والرياحين وأجناس الطير. وفي كل منزل بئر وبئران وبستان، يكون فيه ضروب الرياحين والمردقوش والآس والمنثور والعبيثران والنمام والأدرنون والشاهترج والباذبونة والاقحوان والجوز والخوخ والتين والرمان، والكروم يشرعونها في منازلهم حتى تكون فيئاً لمقاصرهم وحجرهم ومراحيضهم حتى ان خلاء الرجل منهم بصنعاء يسمى المستراح لما يكون فيه من

المراكن التي فيها من جميع هذه الرياحين التي ذكرت لك ومن سائر المشمومات، ولكبرها وشدة فسحتها ورحبها وقضاض قيعانها ومجاريها وجدرها وانخراق الهواء فيها والضياء الظاهر بها، ليس كالأخلية التي تعاين وتشاهد في سواها من الضيق ورداءة الريح المتردد فيها، فيكون داؤها أضر على النفوس والاجساد من كثير من البلاد التي تلحق الإنسان من سائر المكروهات والمخوفات، لاحتباس هواء الاخلية المتردد فيها، فيلحق الجالس لقضاء حاجته منها ضرر بيّن «تاريخ مدينة صنعاء» ١٤٤.

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الادريسي المتوفي سنة ٥٦٠ في كتابه «**نزهة المشتاق**»، (ص ٥٣):

«ومدينة صنعاء كثيرة الخيرات متصلة العمارات وليس في بلاد اليمن أقدم منها عهداً ولا أكثر ناساً وهي في صدر الاقليم الأول معتدلة الهواء طيبة الثرى، والزمان بها أبداً معتدل الحر والبرد بها كانت ملوك اليمن قاطنة، وهي ديار العرب، وكان لملوكها بناء كبير عظيم الذكر وهو قصر غمدان فتهدم وصار كالتل العظيم».

يوسف بن يعقوب ابن المجاور المتوفي بعد سنة ٦٣٠: «**تاريخ المستبصر** «**صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز**» (ص. ١٧٨ ـ ١٨٥):

«والى الملاوي ثلاثة فراسخ وإلى الحزيز فرسخين وإلى مدارة فرسخ وإلى نقيل اسلح فرسخين صعوداً، وإلى حداران فرسخ حدور وإلى حباري فرسخ وإلى غيل البرمكي فـرسخين ماء جارٍ، فلما قتل الامام أبو محمد هارون الرشيد جميع البرامكة هرب انسان منهم وسكن صنعاء، فلما وجد قلة الماء على أهلها اشترى

أرض قاع عباد بن الفخر وحفر بها نهراً عظيماً ويقال ان معين النهر هو من أرض العراق، فلما تم جريان الغيل أوقفه على ضعفاء صنعاء فعرف الغيل بالبرمكي، ويقال بل الذي حفره برملك الذهب أي ما قصر في جرح الذهب على حفره، وإلى صنعاء فرسخين».

بناء صنعاء

«حدثني يحيى بن علي بن عبد الرحمن الزراد قال: شيث بن آدم عليه السلام بنى مدينة صنعاء وغرس بظاهرها بستانين أحدهما أيمن الدرب والثاني أيسره، وهما بطول من صنعاء إلى العراق مسيرة سبعة أيام. حدثني السلطان جميل: بنى به سام بن نوح عليه السلام لأنه استولى عليه ولم يكن يقدر على المقام في مدينة واحدة، فكان يدور العالم على موضع هوى خفيف الماء معتدل الأرض في الصحة ليسكن ما به من الألم فوجد أرضاً موافقة لطبعه، فلما نزل صنعاء زال عنه الألم وحينئذ صعد على جبل نقم سكنه وقال لأهله وأشياعه وأتباعه: ليعمر كل منكم مسكناً يسكنه، فعمرت الخلق المساكن فرجعت مدينة طولها وعرضها مسيرة سبع فراسخ. وكانت أعمالها تنفذ إلى البصرة وبقيت الطريق مسلوكة عامرة إلى أن علاه الرمل فقطعه. وبنى هود عليه السلام في جامعه بئراً وهي أول بئر حفرت في عالم الكون والفساد، وأدار سورها الملك الأغر علي بن محمد بن علي المعلم الصليحي بالحجر والجص، وركب عليه سبعة أبواب: باب غمدان ينفذ إلى اليمن وباب دمشق ينفذ إلى مكة وباب الشبحة «السبحة» ينفذ إلى محلة الشيخة وهم المخدومين، وباب خندق الأعلى يدخل منه السيل، وباب خندق الأسفل يخرج منه السيل يسقي الأرض، وباب النصر

ينفذ إلى جبل نقم وبراش، وباب شرعة ينفذ إلى بستان السر والله أعلم».

ذكر قصر غمدان

«أول من ابتدأ في بنائه سام بن نوح عليه السلام لما بنى صنعاء، ويقال سليمان بن داود عليهما السلام لما دخل اليمن يتزوج بلقيس، وكانت التابعة من ملوك اليمن لهم رغبة نفيسة وهمة عالية في عمارته، وكل ملك تولى منهم كان يعلي قصراً على قصر حتى ارتفعت تلك القصور أثنين وسبعين سقفاً. ويقال ثلاثة وتسعين سقفاً وآخر من بنى به أسعد الكامل ويقال أسعد الخزاعي قصراً من زجاج وهو الخاتمة..

حدثني قاضي الجبل من آل الصليحي قال: حدثني رجل سمع من لفظ أبي محمد عبد الله بن حمزة الحسيني قال: ان أواخر فيء قصر غمدان كان يصل إلى وادي الظهر «ظهر» قلت: كم يكون بينهم من المسافة، قال: مثل زبيد إلى الزريبة مقدار فرسخ زائد لا ناقص. قال ابن المجاور: ولا شك انه كان يصل فَيء القصر إلى وادي الظهر إذا قربت الشمس للغروب لأن مثل ذلك الحين يكون الظل والفَيء إلى ان يرجع مثل الشيء ثلاث أربع مرات، كما يقال بنيانه بل ضياء سرجه كان ينظر من المدائن وقيل إلى المدينة. وبقي القصر على حاله إلى أيام خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، قعد بعض الليالي بظاهر المدينة إذ نظر في الجو شيئاً يضيء شبه كوكب دري فسأل عنه، فقال بعض من حضر مجلس أمير المؤمنين وفي خدمته: ان ضوء هذا ضوء شمعة تشتعل على أعلى قصر غمدان بصنعاء فأمر بهدمه فهدم،

فالان بقي تل عظيم. وقد بنى موضع القصر بدر الدين حسن بن علي بن رسول قصراً عظيم الهيكل سنة ثمان عشرة وستمائة، حدثني يحيى بن علي بن عبد الرحمن الزرّاد قال: ما بني قصر غمدان إلا امرأة تسمى الزباء وأمرت ان يجعل فوق كل قصر قصراً طويلاً كل قصر أربعين ذراعاً بالعمري في عرض مثله في ارتفاع مثله، قال الامام أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد اللغوي الأزدي في ذلك:

واستنزل الزباء قصرا وهي من   عقاب لوح الجو اعلى منتما
وسيف استعلت به همته   حتى رما أبعد شاو المرتمى
فجرع الاحبوش سماً ناقعاً   واحتل من غمدان محراب الدما

وقد ذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب ان قصر غمدان يعمر ثانية احسن مما كان في الأول».

صفة صنعاء

شرب أهل صنعاء من غيل البرمكي وقد تقدم ذكره موافق لمن شربه، وأهويتها باردة تشبه أهوية خراسان موافق لجميع البضائع لم يضر شيئاً وخاصة الزعفران تبقى فيها ما شاء الله. ويوجد بها من جميع الأثمار من التفاح والمشمش والخوخ والانجاص والسفرجل والعنب والتين والكمثري والورد والنرجس والياسمين وسائر المشمومات والرياحين والبقول. حدثني قيصر مولى جمال الدين والدولة جوهر انه يباع بها الفجل مشقق أربع قلت: ولم، قال لأنه وجد امرأة تستعمله في فرجها فعلم بشرح حالها والي المدينة، فأمر أن لا يباع الفجل إلا مشقق وأسسوها سنّة. ويجمد بها الماء، حدثني سليمان بن منصور قال: إن الماء يجمد على الوراء

والكرابىء ولم يبَن من أيديهم سوى رؤوسهم، فحينئذ يأتي درين وهو الثعلب على الجليد يقطع رؤوس الطير، قال بن المجاور: وهذا شيء مستحيل لأن كل بدن فيه الروح لم يجمد عليه شيء لأن الحرارة الغريزية تغلب البرودة، ولم يجمد الماء إلا على شيء مات لأن طبع الحياة حار لين وطبع الموت بارد يابس، فإذا كان الأمر على ذلك لم يستقم قوله ولا يستبين فعل درين. وأهلها من نسل العجم خرجوا من الحبوس والقيود في دولة يزدجرد بن شهريار بن بهرام، ويقال كسرى بن قباد مع سيف بن ذي يزن لاستفتاح اليمن من الحبوش وحكايتهم مشهورة مذكورة في كتاب مسطور، وليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر موافقة وأهلاً من صنعاء، وهو بلد في حد الاستواء سواء، وهو من الاعتدال في الهواء بحيث لا يتحرك الانسان من مكان واحد طول عمره صيفاً وشتاءً، وتتقارب ساعات الشتاء والصيف وكان لها بناء عظيم خرب».

ويقول.... زكريا محمد القزويني المتوفي سنة ٦٨٢ في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» (ص ٥٠):

«صنعاء قصبة بلاد اليمن أحسن مدنها بناء وأصحها هواء وأعذبها ماء وأطيبها تربة وأقلها أمراضاً. ذكر ان الماء إذا رش في بيوتها تفوح منه رائحة العنبر. وهي قليلة الآفات والعلل قليلة الذباب والهوام إذا اعتل انسان في غيرها ونقل إليها يبرأ، وإذا اعتلت الابل وارعيت في مروجها تصح واللحم يبقى بها أسبوعاً لا يفسد. بناها صنعاء بن ازال بن عنبر بن عابر بن شالح، شبهت بدمشق في كثرة بساتينها وتخرق مياهها وصنوف فواكهها. قال محمد بن أحمد الهمداني: أهل صنعاء في كل سنة يشتون مرتين

ويصيفون مرتين، فإذا نزلت أول الميزان يعود الحر إليهم مرة ثانية فيكون صيفاً، وإذا صارت إلى الجدى شتوا مرة ثانية، غير ان شتاءهم قريب من الصيف في كيفية الهواء، قال عمران بن أبي الحسن: ليس بأرض اليمن بلد أكبر من صنعاء، وهو بلد بخط الاستواء بها اعتدال الهواء لا يحتاج الانسان إلى رحلة الشتاء والصيف وتتقارب ساعات نهارها، وكان من عجائب صنعاء غمدان الذي بناه التبابعة، قالوا: بانيه ليشرح ابن يحصب، قال ابن الكلبي: اتخذه على أربعة أوجه، وجه أحمر ووجه أبيض ووجه أصفر ووجه أخضر. وبنى في داخله قصراً على سبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً، فكان ظله إذا طلعت الشمس يرى على ماء بينهما ثلاثة أميال، وجعل في أعلاه مجلساً بناه بالرّخام الملوك، وجعل سقفه رخامة واحدة، وصير على كل ركن من أركانه تمثال أسد إذا هبت الريح يسمع منها زئير الأسد، وإذا اسرجت المصابيح فيه ليلاً كان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق. وفيه قال ذو جدن الهمداني:

وغمدان الذي حدثت عنه ... بناه مشيّداً في رأس نيق
بمرمرة واعلاه رخام ... تحام لا يعيب بالشقوق
مصابيح السليط يلحن فيه ... إذا امسى كتومـاض البروق
فأضحى بعد جدته رماداً ... وغير حسنه لهب الحريق

وقال أمية بن أبي الصلت يمدح سيف بن ذي يزن من قصيدة آخرها:

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... في راس غمدان دار منك محلالاً
تلك المفاخر لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فصار بعد ابوالا

وذكر ان التبابعة إذا قعدوا على هذا القصر واشعلوا شموعهم يرى ذلك على مسيرة أيام. حكي ان عثمان بن عفان لما أمر بهدم غمدان قالوا له: ان الكهنة يقولون هادم غمدان مقتول فأمر باعادته، فقالوا له: لو انفقت عليه خراج الأرض ما أعدته كما كان فتركه، ولما خربه وجد على خشبة من أخشابه مكتوباً: اسلم غمدان هادمك مقتول. فهدمه عثمان بن عفان فقتل.. وبصنعاء جبل الشب وهو جبل على رأسه ماء يجري من كل جانب وينعقد حجراً قبل ان يصل إلى الأرض، وهو الشب اليماني الأبيض الذي يحمل إلى الآفاق، ومن عجائب صنعاء ما ذكر انه كان بها قبة عظيمة من جمجمة رجل، وبها نوع من البرِّ حبتان منه في كمام ليس في شيء من البلاد غيرها، وبها الورس وهو نبت له خريطة كالسمسم، زرع سنة يبقى عشرين سنة».

نجم الدين عمارة المتوفي سنة ٥٦٩، في كتابه «تأريخ اليمن...» (ص ٥٨):

«انه ليس لجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر مرافق وأهلاً من صنعاء وهو بلد في خط الاستواء، وهو من الاعتدال في الهواء بحيث لا يتحول الانسان من مكان واحد طوال عمره شتاء ولا صيفاً، وتقارب بها ساعات الشتاء والصيف. وبها بناء عظيم قد خرب فهو تل عال يعرف بغمدان ولم يبن ملوك اليمن قصراً مثله ولا ارفع منه».

ياقوت: «معجم البلدان» ٣ (ص ٤٢٦):

«صنعاء. كان اسمها في القديم أزال، قال ذلك الكلبي والشرقي وعبد المنعم، فلما وافتها الحبشة قالوا: نعم نعم فسمي

الجبل نعم أي انظر، فلما رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينه فقالوا: هذه صنعة ومعناه حصينة فسميت صنعاء، وبين صنعاء وعدن ثمانية وستون ميلاً. وصنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها تشبه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها فيما قيل. وقيل: سميت بصنعاء بن ازال بن يقطن بن عابر بن شالخ وهو الذي بناها. وطول صنعاء ثلاثة وستون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها أربع عشرة درجة وثلاثون دقيقة، وهي في الاقليم الأول. وقيل سميت صنعاء لأن وهرز لما دخلها قال: صنعة صنعة، يريد ان الحبشة احكمت صنعتها، قال: وانما سميت باسم الذي بناها وهو صنعاء بن ازال بن عبير بن عابر بن شالخ، فكانت تعرف بازال وتارة بصنعاء».

عماد الدين اسماعيل بن محمد أبو الفدا «صاحب حماة» المتوفي سنة ٧٣٢ **«تقويم البلدان»** (ص ٩٥):

«وصنعاء من أعظم مدن اليمن تشبه دمشق لكثرة مياهها وأشجارها، وهي شرقي عدن بشمال في الجبال، وهي معتدلة الهواء وتتقارب فيها ساعات الشتاء والصيف، وهي كانت كرسي ملوك اليمن في القديم، وبها تل عظيم يعرف بغمدان كان قصر ملوك اليمن. قال بن سعيد: وبينها وبين عدن مدينة جبلة. قال في العزيزي: مدينة صنعاء مدينة جليلة وهي قصبة اليمن وبها أسواق جليلة ومتاجر كبيرة».

ابن فضل الله العمري المتوفي سنة ٧٤٩ **«مسالك الابصار»** «مستل منه» (ص ١٦٥):

«وأما صنعاء فدار ملك أئمة الزيدية وقد تقدم في هذا الكتاب

من أحوالها ما يغني عن اعادته هنا، وهي قاعدة ملك اليمن في قديم الزمان، وأوقاتها كلها على مناسبة الاعتدال لذيذة الهواء كثيرة الفواكه، تقع بها الامطار والبرد ويكاد يجمد، وهي تشبه في اليمن ببعلبك في الشام لتمامها الحسن وحسنها التمام».

محمد بن عبد المنعم الحميري «الروض المعطار» (ص ٣٥٩):

«صنعاء مدينة عظيمة باليمن كان اسمها بالقديم أزال.. والذي أسس غمدان وابتدأ بنيانه واحتفر بئره، الذي هو اليوم سقاية بمسجد جامع صنعاء، سام بن نوح لأنه سار يطلب حُرَّ البلاد وموضع اعتدال الحر والبرد فلم يجده إلا في جزيرة العرب، فنظر الحجاز فوجده مفرط الحر لمقام الشمس شهرين في مثل ثلاث درجات وكسر على سمته، فسار في الاقليم الأول حتى صار إلى حقل صنعاء فوجده أطيب باعتداله وصحة هوائه، ورآه ارجح إلى البرد منه إلى الحر، ورأى ميله وسطاً لا مثل الحمل المتقارب تسير الشمس فيه طولاً درجة وعرضاً قريباً من نصفها، ولا مثل ميل الجوزاء الذي هو تسع طوله. ورأى الشمس تسامته في السنة كرتين في ثماني درجات من الثور وثلاث وعشرين من الأسد فإذا كانت الشمس فيها ترى الشمس في ايار صنعاء انتصاف النهار. وصنعاء مدينة كثيرة الخيرات متصلة العمارات ليس في بلاد اليمن أقدم منها عهداً ولا اكبر قطراً ولا أكثر ناساً، وهي في صدر الاقليم الاول معتدلة الهواء طيبة الثراء، والزمان بها أبداً معتدل الحر والبرد. وكانت ملوك اليمن قاطبة تنزل بها، وهي ديار العرب، وكان لملوكها بها بناء كبير عظيم الذكر وهو قصر غمدان فهدم وصار كالتل العظيم، وأكثر بناياتها في هذا الوقت بالخشب، وبها

دار لعمل الثياب المنسوبة إليها. وهي قاعدة اليمن، وهي على نهر صغير يأتي إليها من جبل في شمالها فيمر بها نازلاً إلى مدينة ذمار ويصب في البحر اليماني، ومن صنعاء إلى ذمار ثمانية وأربعون ميلاً، والى صنعاء ينسب الوشي، ولبعض المتأخرين يذكر ممدوحاً له:

اعجب بحسن الوشي من صنعاء   وشّى نضار صلاته بلجينة

وتعمل بصنعاء الحبرات من القطن التي لا يقدر في غيرها على اتخاذ مثلها، ومنها تحمل إلى البلاد، وكذلك الأردية والعمائم العدنية والثياب السحولية والادم الطائفي لا يوجد في قطر من الاقطار مثله، والبقر الملمعة فيها تواليع بين بياض وصفرة كأحسن الوشي.

وصنعاء لا تمطر إلا في حزيران وفي تموز وآب وبعض أيلول ولا تمطر إلا بعد الزوال، في أغلب الأمر يلقي الرجل نصف النهار والسماء مصحية ليس فيها طخرية فيقول: عجل قبل ان تصب السماء، لأنهم قد علموا أنه لا بد من المطر في ذلك الوقت».

أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف **بابن بطوطة** المتوفي سنة ٧٧٩ **«تحفة النظار»** (ص ٢٥٩):

«وانصرفت مسافراً إلى مدينة صنعاء وهي قاعدة بلاد اليمن الأولى، مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها الآجر والجص كثيرة الاشجار والفواكه والزرع، معتدلة الهواء طيبة الماء، ومن الغريب ان المطر ببلاد الهند واليمن والحبشة انما ينزل في أيام القيظ واكثر ما يكون نزوله بعد الظهر من كل يوم في ذلك الأوان، فالمسافرون عند الزوال لئلا يصيبهم المطر ينصرفون إلى منازلهم لأن أمطارهم

وابلة متدفقة، والمدينة مفروشة كلها فإذا نزل المطر غسل جميع ازقتها وانقاها، وجامع صنعاء من أحسن الجوامع وفيه قبر نبي من الانبياء عليهم السلام».

هؤلاء هم اغلب من وصف مدينة صنعاء وهم يتفقون جميعاً على طيب هواء هذه المدينة ووفرة مياهها، وغالباً ما يشبهونها بدمشق وبعلبك وغيرهما من مدن الشام الخصبة، على انها تتميز على سائر البلاد باعتدال الهواء وصحة الجو، وما قولك في مدينة تخيرها سام بن نوح من دون سائر بلدان العالم كله.. وجعلها مستقر مكوثه في هذه المعمورة.

المخطوطة

المخطوطة: وريقات انتقيناها من موسوعة كتاب «المنشورات الجلية مما انطوت عليه الوصية المتوكلية»، جعله مؤلفه على شرح وصية المتوكل على الله اسماعيل، وهو كتاب كبير رتبه على ثمانية منشورات وخاتمة:

المنشور الأول: في عدد فرق الأمة على الاجمال.

المنشور الثاني: في اطراف من المعتقدات الكفرية.

المنشور الثالث: في ذكر حدود جزيرة العرب ومن سكنها.

المنشور الرابع: في ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب. الخ.

المنشور الخامس: فيما شجر بين الصحابة.

المنشور السادس: في سير الخلفاء المتقدمين.

المنشور السابع: ...

المنشور الثامن: في ذكر من قال بالجبر والقدر.

والخاتمة تشتمل على أربعين حديثاً في شأن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

والجزء المستل منه بحثنا هذا في المنشور الثالث في «ذكر حدود جزيرة العرب ومن سكنها». وقد تحدث فيه عن انساب العرب وبعض بلدان الجزيرة وفيه استطرادات كثيرة، وقد اخترنا منه ما يخص مدينة صنعاء، وكنت قد تنبهت إليه عن طريق الصدفة ـ لا غير ـ حينما كنت اقلب ميكرو فيلم موجوداً ضمن مقتنيات مركز باذيب بمدينة عدن، وهو عبارة عن أوراق متناثرة كان من ضمنها ذلك المنشور الخاص بجزيرة العرب. على أنني لم استفد من محتويات ذلك الفيلم وانما نبهني على موضع طلبتي في مصدره الاساسي، وهو كتاب «المنشورات الجلية» الذي كنت أعلم بوجود مخطوطة منه في مكتبة جامع صنعاء، فقمت بالرجوع إلى ذلك المخطوط فوجدته كما ظننت.

تقع الأوراق المنشودة في مخطوط المنشورات الجلية في الجزء الأول منها بين لوحتي ٥٣ ـ ٨١. وهي مكتوبة بخط واضح جلي كتبت في حياة المصنف سنة ١١٧٢ هـ وعليها تعاليق واضافات للمصنف نفسه.

المؤلف:

هو السيد العلامة الرئيس جمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم بن الامام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الحسني الشهاري الصنعاني. ترجم له المؤرخ زبارة في نشر العرف٢: ٢٥٠ فقال: أخذ عن أبيه وكان رئيساً شهيراً. ولما خرجت قبائل يام في سنة ١١٤٢ وانتهبوا مدينة بيت الفقيه بتهامة، أرسل

المنصور الحسين بن المتوكل صاحب الترجمة لملاقاة أهل يام ومعه رجال بكيل، فالتقوهم بالحمرة بجهات تهامة وسلبوا أهل يام ما معهم من المنهوب. وصاحب الترجمة استطرد ذكره صاحب نفحات العنبر في ترجمة عمه الامام الهادي الحسن بن القاسم بن المؤيد، فقال بعد ان ذكر دعوته الثانية في سنة ١١٥٢ في شهارة: وكان المنصور الحسين بن المتوكل القاسم بن الحسين قد جعل جمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد على خمر وبلادها وثبت بها أمره، فلما اظهر عمه الدعوة بشهارة سار إليه فجهزه في جيش جرار وأمده بالمدد الواسع، وسار إلى قريب من السّودة فرأى حصناً يقال له المعصفي فسأل عنه، فقيل له ان فيه انفاراً من الرتبة من قبل عامل السودة، فقال: لا ينبغي ان نسير من عنده الاّ وقد استفتحناه فحط عليه إلى أن انفذ العدد والمدد، مع ان هذا الحصن ليس في أخذه فائدة أصلاً، ولكن قدر الله وما شاء فعل، وقيل انما فعل ذلك مخاذلة لعمه ليحظى عند المنصور، وقيل حمقاً منه وغفلةً والله أعلم.

ثم استطرد ذكره أيضاً صاحب النفحات في مواضع من ترجمة السيد الامام محمد بن اسماعيل الأمير،فقال: انه كان إلى المولى الحسن بن القاسم بن المؤيد ولاية وصاب، وكان العامل من جهته عليها علي بن القاسم بن عبد الله بن المؤيد، فاشتد ظلمه للرعية، وأعانه جماعة من عسكر شهارة، وتعذر على المولى الحسن رفع يده وعزله لخروجه عن كمال الطاعة، فناصح البدر الأمير المولى الحسن بأنه لا يحل له بقاء تلك البلاد تحت حكمه اسماً وليس له التصرف فيها إلا وهماً، فاتبع الناصح وارجع أمرها إلى المنصور الحسين فولاها المنصور ورفع من فيها من عسكر شهارة. ثم قال

في «النفحات» عند ذكر عدم ذكر السيد محمد الأمير للامام القاسم بن محمد في خطبة الجمعة سنة ١١٦٦، كان رئيس من قام لانكار ذلك المولى محمد بن علي بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن، وشايعه على ذلك المولى علي بن علي عبد الله بن القاسم بن المؤيد، وكان يدعي العلم وانه عند ان جمع المهدي العباسي فيما بينهما وبين السيد محمد الأمير بحضرته، قال المترجم له: قد فرغ السيد محمد من كلامه فتكلم، وقد كان أعد كراساً في كيس يزعم انه للمناظرة فسكت المهدي ثم أمر ببقاء الخطيب في دار الأدب، وبحبس جمال الدين علي بن عبد الله، وبقي في الحبس خمسة عشر عاماً. انتهى كلام صاحب النفحات.

مؤلفاته:

١ ـ دلائل السبل الأربعة. وهي سبيل السنة وسبيل الجماعة وسبيل الفرقة وسبيل البدعة. ورتبه على خمسة فصول:

الباب الأول: باب الأبواب
الباب الثاني: باب أهل الجماعة
الباب الثالث: باب أهل الفرقة
الباب الرابع: باب أهل السنة
الباب الخامس: باب أهل البدعة

منه نسخة مخطوطة بقلم المؤلف سنة ١١٧٥ برقم ١٧٢ بجامع صنعاء.

٢ ـ «دليل المحتار على خلفاء المختار»، في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتثبيت الخلافة والامامة، وهو في

مجلد ضخم فرغ منه سنة ١١٥٣ بقلم المؤلف برقم ٨٧ علم الكلام «جامع صنعاء».

٣ ـ «النور المتلالي في الرد على ظلمات الغزالي»، في فتواه بشأن قتل الحسين عليه السلام خ في سنة ١١٦٢ بمكتبة السيد محمد المنصور بصنعاء.

٤ ـ المنشورات الجلية: وهو هذا الكتاب.

٥ ـ «المقصد الاقرب إلى معرفة المذهب»، مخطوطة في ٢٠٠ ورقة كتب سنة ١١٨٤ بجامع صنعاء برقم ١٠٢ كلام.

عبد الله محمد الحبشي

نص المخطوطة

المنشور الثالث لذكر حدود جزيرة العرب ومن سكنها ولمع من انسابهم وأديانهم. لكون نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كسر أصنامهم وأخرب بيوت طواغيتهم وغير نحلهم، ولكون نسبه من صميمهم، ومن خيرة الخيرة من أوساطهم، ويتعلق بذلك لمع من أخبارهم، وقدم على ما بعده من المنشورات لترتب معرفتها عليه ترتباً جلياً ظاهراً، وفيه فصول:

فصل لذكر بلاد العرب

قال الرازي في تاريخ صنعاء ما معناه[1]:

أرض العرب[2] الحجاز واليمامة والبحرين إلى عمان واليمن.

قال[3]: والحجاز هو ما حجز بين تهامة والعروض[4] وفيما بين اليمن ونجد (هو)[5] ما بين الحجاز إلى الشام إلى العذيب[6]،

(١) الرازي: تاريخ صنعاء: ٧١.

(٢) الرازي: أرض العرب.

(٣) الرازي: تاريخ صنعاء: ٧١.

(٤) الرازي: العرض.

(٥) زيادة على الرازي.

(٦) العذيب: تصغير العذب. ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية ٤ أميال =

والطائف من نجد والمدينة من نجد، [واليمامة][1] والبحرين إلى عمان من العروض، وتهامة هي ما ساير البحر ومكة منها.

قال[2]: وعن ابن عباس انما سميت [بلاد العرب][3] بجزيرة العرب لاحاطة[4] البحار بها من اقطارها.

قلت: يعني لاحاطة الماء بها من جهة الشرق وذلك دجلة والفرات،لأنها متصلة من بندر الموصل[5] الذي هو بندر أطراف الشام إلى بغداد إلى واسط إلى الكوفة والبصرة إلى أن يصب في البحر الكبير[6]. ثم من جهة اليمن البحر الكبير ويتصل به بلاد عمان، وهو بندرها إلى الشحر وهو أول بنادر اليمن، وهو بندر أرض حضرموت ومهرة ونحوها إلى عدن ثم بحر القلزم[7] الذي

= وإلى المغيثة ٢٢ ميلاً. وقيل هو واد بين تميم وهو من المنازل التي ينزلها حاج الكوفة، وقيل هو حد الوادي، وقال أبو عبد الله السكوني: العذيب يخرج من قادسية الكوفة إليه. (انظر ياقوت٤ : ٩٢).

(١) ساقط من الأصل.

(٢) تاريخ صنعاء: ٧٢.

(٣) زيادة على الرازي.

(٤) الأصل الاحاطة البحار واصلحناه من تاريخ صنعاء الرازي.

(٥) كذا صوابه البصرة وفي بلدان الخلافة الشرقية في أثناء الحديث عن البصرة: ٦٥ والبصرة على نحو اثني عشر ميلا من فيض دجلة في خط مستقيم وقد شق إليها من دجلة نهران: نهر معقل من الشمال الشرقي وتأتيه السفن النازلة من بغداد ونهر الابله وتسير فيه السفن من البصرة نحو الجنوب الشرقي فتخرج إلى خليج فارس عند عبادان.

(٦) يعني البحر المحيط.

(٧) هو البحر الأحمر: بحر ينحصر بين افريقية وشبه جزيرة العرب وينفذ إلى البحر المتوسط بترعة السويس شمالاً وإلى الاوقيانوس الهندي بمضيق=

يقال له بحر الشفان(1)، وهو يتصل باليمن من جهة العدن(*) والغرب أيضاً إلى بندر ينبع، وهو بندر المدينة المشرفة. ثم لعله يتصل بمدينة القلزم(2) الذي لأجلها سمي به [٥٣ - ١] وهي تقرب من بلاد مصر وبنادر بحر القلزم بعد ينبع(3) جدة والقنفذة(4) وجازان(5) واللحية(6) والحديدة(7)

= باب المندب جنوباً طوله من السويس إلى باب المندب٢٤٠و٢كم وعرضه الأقصى ٣٥٠ كم. وفي معجم البلدان لياقوت ٤ :٢٨٧ القلزم بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة وميم. القلزمة ابتلاع الشيء يقال تقلزم إذا ابتلعه وسمي بحر القلزم قلزماً لالتهامه من ركبه وهو المكان الذي غرق فيه فرعون.

(١) أنظر صفة جزيرة العرب: ٢٤٠و٢٨٥ وفيه شفان وشقان بالفاء والقاف.

(*) يعني من جهة الجنوب العدن، الجنوب نسبة إلى مدينة عدن المعروفة.

(٢) القلزم: ياقوت ٤ : مدينة القلزم بينها وبين مصر ثلاثة أيام وهي مدينة مبنية على شفير البحر ينتهي بحر القلزم إليها ثم ينعطف إلى ناحية البجة وليس بها زرع ولا شجر ولا ماء وإنما يحمل إليها من أبار بعيدة منها.

(٣) ينبع مدينة في الحجاز على البحر الأحمر مرفأ ومركز تجاري (المنجد: ٧٥٢).

(٤) القنفذة مرفأ على الساحل الغربي من البحر الأحمر في المملكة العربية السعودية «المنجد: ٥٥٧».

(٥) جازان: مدينة وميناء تجاري على البحر الأحمر «المنجد: ٢٢٣».

(٦) في الأصل الحية واللحية بضم اللام «تصغير لحية» بلدة تهامية على ساحل البحر الأحمر شمال الحديدة وهي من الموانىء الصغيرة وتتبع ادارياً قضاء مستقلاً من قضوات محافظة الحديدة «معجم البلدان للمقحفي: ١٦٢».

(٧) الحديدة: بضم الحاء وفتح الدالين المهملتين بينهما ياء تحتية ساكنة. أكبر مدن تهامة الآن واشهر مواني اليمن على البحر الأحمر وهي على بعد=

والمخا [1] وعدن [2]. فهذه البنادر المعروفة في زماننا وأكثرها محدث وكان ثم بنادر غيرها قد بطلت منها: غلافقة [3] وغيرها.

قلت: وأما من جهة الشام فيما أظن أن ثم نهر تسير فيه السفن يكون من جهة الشام أعني من القلزم إلى الفرات [4] ودجلة، حتى يكمل احاطة الماء بجزيرة العرب، لأنه ذكر العلماء انما الحاجز بين الحجاز والشام الأرض الحجز [5] وهي أرض ثمود [6] وانما

= ٢٢٦ كم من صنعاء شمال غرب وبها مركز المحافظة «المقحفي: ١٦٢».

(١) والمخا: بفتح الميم والخاء المعجمة وألف ممدودة مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر غربي مدينة تعز بمسافة ٩٤ كم وهي من الموانىء القديمة «المقحفي: ٥٧٠».

(٢) عدن بلدة مشهورة جنوبي تهامة عند مضيق باب المندب «المقحفي: ٤٣٢».

(٣) بلدة ساحلية بالشمال الغربي من زبيد وتعرف باسم «غليفقة» وتتبع ادارياً «بيت الفقيه» وكانت في القديم ميناء هاماً ومرسى عظيماً من مراسي تهامة، ولما كان بناء ميناء الفازة سنة ٨٢٢ ضعفت غلافقة ثم تعرضت للدمار في القرن العاشر وهي اليوم بلدة صغيرة بها نخل كثير وشجر «المقحفي: ٤٨٣».

(٤) قلت لا صلة للفرات ببحر القلزم وانما ينتهي من جهة الشمال بايله وهي آخر الحجاز وأول الشام انظر ياقوت ١: ٢٩٢».

(٥) ياقوت ٢: ٢١٨ قال الخليل: سمي الحجاز حجازاً لانه فصل بين الغور والشام وبين البادية وقال عمارة بن عقيل: ما سال من حرة بني سليم وحرة ليلى فهو الغور حتى يقطعه البحر، وما سال من ذات عرق مغرباً فهو الحجاز إلى أن تقطعه تهامة، وهو حجاز أسود حجز بين نجد وتهامة وما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجد إلى أن يقطعه العراق.

(٦) قلت: تسمية الحجاز بأرض ثمود لم يقل به أحد من المؤرخين والله أعلم =

سميت الحجز لحجزها بين الشام والحجاز وانما سميت ثمود لثمد الماء فيها أي قلته.

قلت: فلعل ابن عباس بنى كلامه(١) على الأغلب أعني أن أغلب بلاد العرب محيط بها الماء من ثلاث جهات، فبنى كلامه على الأغلب وهو كثير في كلام العرب.

قلت: فإذا عرف هذا عرف(٢) انما اختط من المدن الاسلامية وغيرها في بلاد العراق، كبعض مدينة بغداد وواسط والكوفة والبصرة وغيرها مما هو غربي دجلة والفرات من المدن والقرى فهو من بلاد العرب.

قلت: وهذا هو المناسب لما يذكر في الأخبار والسير وذكر محلات العرب وذكر وفودها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قلت: وعلى هذا يحمل عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يجتمع في جزيرة العرب دينان(٣)، وقوله لو عشت أخرجت اليهود من جزيرة العرب(٤)، إذا تكاملت صحة هذين الحديثين.

= وفي صفة جزيرة العرب: ٢٤٥ «فمن وادي القرى إلى خيبر الى شرق المدينة الى الحبلين فالمعدن معدن سليم فراجعا الى وادي القرى الى الحجر موضع ثمود الناقة مرحلة وفيه آثار عظيمة».

(١) يعني قول ابن عباس: انما سميت جزيرة العرب لاحاطة البحر، «المنقول عن تاريخ صنعاء»: ٧٢.

(٢) كذا في الأصل لعل صوابه: ان ما اختط.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى ٩: ٢٠٨ «باب لا يسكن أرض الحجاز مشرك».

(٤) حديث لئن عشت ان شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، الترمذي: ١٦٠٦ وأحمد بن حنبل في المسند ١:٣٢ والمستدرك=

وقال الامام يحيى بن حمزة[1] عليه السلام في «التمهيد»[2] وقد اجلاهم عمر عن جزيرة العرب. قال: وذكر العلماء في تحديد جزيرة العرب انها مكة والمدينة واليمامة والطائف وما يتعلق بهذه الجهات، لا سبيل لهم في الوقوف فيه ويؤذن لهم فيما عداها.

قلت: ولعل هذا التخصيص لاجتهاد[3] من عمر والعلماء لشرف مكة والمدينة وما جاورهما، لا أنه تفسير لجزيرة العرب، إذ السير والأخبار تابى ذلك ولأن الجزيرة في عرف اللغة العربية لما أحاط بها الماء من جميع الجوانب أو اغلبها. اللهم الا أن يكون سميت هذه المحلات التي منع عن سكناها أهل الكتاب جزيرة العرب تجوزاً وأضيفت إلى جميع العرب لاختصاصهم بشرفها، ويكون ذلك من باب إضافة الخاص إلى العام أو من باب إضافة الكل إلى الجزء. فالتجوز غير ممنوع ولا مدفوع والله أعلم.

قلت: وأعلم ان فضل بلاد العرب على جميع بقاع اقطار بلاد العجم كفضل العرب على العجم لأن فيها أم القرى وبيت الله المزور فرضاً وتطوعاً من قبل خلق أبينا آدم اعواماً، وهو أول بنيان بني في الدنيا [٥٣ ـ ب].

= ٤: ٢٧٤ والبيقهي ٩: ٢٠٧ وكنز العمال: ١٥٠٢.

(١) هو الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي ولد سنة ٦٦٩ وتولى الامامة سنة ٢٧٩ له مؤلفات كثيرة توفي سنة ٧٤٩ «البدر الطالع ٢: ٩٢٣١ أئمة اليمن ١: ٢٢٨ ومصادر الفكر الاسلامي: ٥٦٤.

(٢) كتاب التمهيد لادلة مسائل التوحيد للامام يحيى بن حمزة منه نسخة مخطوطة سنة ٧٣٣ بجامع صنعاء «مصادر الفكر: ٥٦٦».

(٣) كذا في الأصل ولعل اللام زائدة هنا.

قلت: واعلم ان أفضل بلاد العرب الحرمان الشريفان وما جاورهما، دل [على] ذلك كلام الله وأخبار المصطفى. وقد اعتنى بذكر ذلك العلماء(١) فأغنى عن ذكر ذلك هنا.

قلت: واعلم ان أبرك بلاد العرب وأكثرها مساكنا واعظمها ملوكاً وأكثرها ناساً وأقواها باساً وأكثرها بعوثاً قبل الاسلام، وأرأفها وأطوعها بعد الاسلام، هي أرض اليمن لما يأتي بيانه ويظهر برهانه ان شاء الله تعالى، قالوا: أرض اليمن أيضاً اعدلها وأطيبها.

قال الرازي في تاريخ صنعاء(٢): كان سام بن نوح أول من بنى غمدان بعد غرقة نوح. وذلك انه لما توفى نوح عليه السلام اجتوى(٣) ابنه سام بن نوح على السكنى في أرض الشمال، فأقبل طالعاً في الجنوب يرتاد أطيب البلاد حتى صار إلى الاقليم الأول فوجد اليمن أطيبه مسكناً، وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء(٤) أطيبها بعد المدة الطويلة فاختط مدينة صنعاء وأسس غمدان [في موضعيهما في طوالع مسعودة مصدورة، وهندسات مذكورة](٥).

قال(٦): وان غمدان من أول بنيان بني في الأرض بعد

---

(١) من ذلك ما الفه المفضل الجندي والعبادي وابن عجلان وكتاب الجوهرة الثمينة في فضائل مكة والمدينة وكتاب فضائل المدينة لابن عساكر وغيره.

(٢) الرازي: ٧٦.

(٣) الاصل: احتوى.

(٤) حقل صنعاء: هو ما يعرف اليوم ببئر العزب أحد احياء صنعاء من جهة الغرب (تاريخ مدينة صنعاء للرازي لمحققه: ٦٦٧).

(٥) زيادة على الرازي.

(٦) الرازي: تاريخ صنعاء: ٨٢.

الغرقة[1]، وان بئر سام الذي هو بئر غمدان أول بئر حفر في الأرض بعد الغرق وهو المعروف في زماننا ببئر نوح[2] الذي عليه المسجد قبال[3] أول باب من أبواب المسجد الجامع بصنعاء من جهة الشرق، وكان يعرف ببئر كرامة ويروى فيه فضلاً كبيراً وماؤه ليس بالعذب[4] [ولم نعرفه لأنه في زماننا معطل] [5] والله أعلم.

قلت: وسيأتي خبر صفة قصر غمدان وصنعاء ان شاء الله تعالى.

قلت: وقد وردت اخبار في فضل اليمن[6] على العموم وفضل صنعاء وفضل جامعها وفضل جبانتها، وفضل جامع الجند وفضل مساجد وبقاع وجبال في اليمن قد ذكرها الرازي في تاريخه[7] وبعضها هو في حديث[8] العلماء فلا فائدة في ذكرها هنا.

(تنبيه): أما مساكن حمير المشهورة في اليمن التي أومأ صاحب البسامة[9] رحمه الله، فقال أهل السير والأخبار

---

(١) يعني الطوفان.

(٢) كذا في الاصل ولعل الصواب بئر سام بن نوح تاريخ صنعاء: ٢٠٨.

(٣) الرازي: ٧٦ «مقابلة».

(٤) الرازي: وماؤها اجاج.

(٥) من زيادات المؤلف.

(٦) جمعها جماعة من علماء اليمن وغيرها منهم ابن الديبع وابن عبد المجيد القرشي والشيرازي والقسطلاني والاهدل في نشر الدر المكنون وغيرهم.

(٧) انظر تاريخ صنعاء للرازي: ٨٣و١٩٢و٢٠٧.

(٨) كذا في الاصل ولم يتضح قول المؤلف: في حديث المؤلف ولعله يعني حديث الرازي على بعض العلماء الذين ترجم لهم.

(٩) صاحب البسامة وهي قصيدة رائية في التاريخ هو العلامة صارم الدين =

[٧٢ - ١]: أما ظفار[١] فهو قرب يريم واليه ينسب الجزع الظفاري[٢].

واما غيمان[٣] فهو بالقرب من صنعاء.

وأما بينون[٤] فبالجوف من أرض سبأ.

= ابراهيم بن محمد الوزير المتوفي سنة ٩١٤ والابيات المشار إليها هي قوله:

وثل عرش بني هود فليس لهم	على البسيطة من عين ولا أثر
كتبع وبنيه وابن ذي يزن	وذي رعين وذي بوس وذي يهر
ملوك صدق لها التيجان قد عقدت	وكللت بنفيس التبر والدور
شادوا ظفارا وغمدانا وما برحت	لهم ببينون آثار وفي هكر
وناعط ثم صرواح ومأربهم	وقصر غيمان والبنيان من خمر
وفي ذرا تلفم بثر معطلة	لهم وقصر مشيد الصرح والحجر
فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم	صرعى من الموت لا صرعى من السكر

(١) هو المعروف بظفار حمير يقع جنوبي يريم بمسافة١٧ كم وهي عاصمة دولة حمير بعد مأرب وتقوم المدينة على قمة جبل ذوريدان وهو جبل شامخ تحيط به الحقول الواسعة من جميع الجهات «المقحفي: ٤١».

(٢) ياقوت ٤ : ٦٠ «وهي التي ينسب إليها الجزع الظفاري وفيها قيل من دخل ظفار حمر. قال الاصمعي دخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير وهو على سطح له مشرف فقال له الملك: ثب فوثب فتكسر فقال الملك: ليس عندنا عربيت. من دخل ظفار حمر قوله ثب أي اقعد بلغة حمير وقوله عربيت يريد العربية فوقف عند الهاء والتاء وهي لغة حمير أيضاً في الوقف.

(٣) غيمان بفتح الغين المعجمة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة، قرية اثرية مشهورة في بني بهلول شرقي صنعاء بمسافة٢ كم ونسبتها إلى قبيلة ذي غيمان التي جاءت كثيراً في النقوش كفرع من فروع قبيلة ذي جرة الكبرى «المقحفي: ٤٨٧ والحجري: ٦٢٧».

(٤) بينون: حصن خال على رأس جبل مستطيل من حصون حمير الشهيرة

وأما هكر[1] فلعله ريدة وقيل انه المراد بقوله تعالى «وقصر مشيد».

واما ناعط[2] فبالصيد من بلاد البون.

واما صرواح[3] فهي كانت مدينة خولان بين مأرب وصنعاء.

وأما خمر[4] فهو من بلاد تسيع[5] بني صريم.

وأما مأرب [6] فهو قصر سبأ وقيل مدينة سبأ والله أعلم.

قلت: وأما غمدان فهو قصر سام ابن نوح الذي شرع في أساسه سام بن نوح. ذكر الرازي في تاريخ صنعاء[7]: قيل ان أول

= وهو في مخلاف ثوبان من ناحية الحدا شرقي مدينة ذمار على مسافة ٣٥ كم. وهي مدينة قديمة البناء مذكورة في النقوش «المقحفي: ٦٨٠».

(١) هكر: بفتح الهاء وكسر الكاف، مدينة اثرية في عنس بالشرق من ذمار بمسافة ٣٥ كم، وهي مدينة قديمة البناء مذكورة في النقوش «المقحفي ٦٨٠».

(٢) ناعط: تقع بخولان والقصور الحميرية منها قصر «يعرق» وقصر ذي لعوة. وكانت ناعط واحدة من العواصم اليمنية القديمة «المقحفي: ٦٥٣».

(٣) صرواح تقع بخولان شرقي صنعاء بمسافة ١٢٠ كم وهي مدينة أثرية قديمة كانت عاصمة السبأيين قبل مدينة مأرب «المقحفي: ٣٧٩».

(٤) خمر: بلد مشهور من حاشد وهي مركز بني صريم «الحجري: ٣١٠ والمقحفي: ٢١٩»

(٥) في الأصل سبيع بتقديم السين والاصلاح من عندنا، وقد تكون يشبع بلد هنالك أو السبيع من بني قيس من صريم والله أعلم.

(٦) مأرب: من أقدم المدن اليمنية وهي بالشرق من صرواح بمسافة ٥٠ كم وعن صنعاء بمسافة ١٩٢ وترجع أهميتها إلى ان السبأيين اتخذوها عاصمة لهم في القرن الثامن قبل الميلاد وكانت في عهدهم أكبر مدينة في جنوب العربية «المقحفي: ٥٥٣».

(٧) تاريخ صنعاء: ٧٨ عن وهب بن منبه.

حجر وضعت على حجر بعد الكعبة حران[1] بالجزيرة وغمدان بصنعاء قال: وبنى حران بالجزيرة نوح عليه السلام، وبنى غمدان صنعاء اليمن سام ابن نوح. وقال: ان سام ارتاد بلاده كما قدمنا فوجد أعدلها اليمن وأعدل اليمن حقل صنعاء وأعدل صنعاء محل غمدان، وكان موضع غمدان شرقي الجامع الكبير بصنعاء، قيل وينتهي إلى شرح يحضب[2].

قلت: ولا أدري أين هو شرح يحضب[3] وكان بنيانه متصلاً منه إلى مصارع الخزائن[4]، (ومصارع)[5] الخزائن كان متصلاً إلى أطراف سوق الحطب[6] وسوق السلب[7] في زماننا.

---

(١) ياقوت: ٢ : ٢٣٥ وذكر قوم انها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان.

(٢) تاريخ صنعاء: ٧٩ وفيه نقلاً عن الهمداني: كان الذي بنى غمدان اليشرح يحصب.

(٣) قلت: كذا يظن المؤلف ان يشرح يحضب اسم موضع والصواب انه علم وهو مذكور في الكتب القديمة انظر شرح قصيدة نشوان: ٤٥ وفيه إلى شرح والاكليل ٨: ١٩.

(٤) كذا عند المؤلف: تصحف عليه في مخطوطته من تاريخ صنعاء. والذي في المطبوعة تحقيق الدكتور حسين بن عبد الله العمري: ٨٥ مصرع الجزارين، قال ومصرع الجزارين الذي بصنعاء هو اليوم الموضع الذي يباع فيه السليط وموضع الحدادين إذا أردت ان تنزل سوق العراقيين موضع مسجد ابن زيد وكانت مقبرة غمدان حيث يحدد الحدادون اليوم بصنعاء قلت: هذا الموضع من صنعاء قديم جداً ذكره ابن رسته في الاعلاق النفيسة. والبكري في معجم ما استعجم: ١٢٣٤ انظر تاريخ صنعاء ٦٨٠.

(٥) زيادة من الهامش.

(٦) سوق الحطب من صنعاء انظر قانون صنعاء٢٨.

(٧) سوق السلب: من اسواق صنعاء ٢٥ والسلب الحبال من الليف ونحوه.

قالوا[١]: وكان اختيار سام بن نوح لموضعه انه اختط مدينة صنعاء، وأراد أن يقيس بخيط المقياس[٢] موضع غمدان، فاختطف الخيط طير فوضعه[٣] حيث بنى فعلم انه أمر بذلك. فموضع غمدان على هذا أعدل بلاد العرب، والجبال الثلاثة التي جعل بينها[٤] وهي نقم[٥] وعيبان[٦] ـ وهو حضور[٧] ـ وظين[٨] فيما رواه الرازي[٩]، وانها من الجبال المبروكة وذكر في ذلك آثاراً.

وروى في فضل صنعاء آثاراً أيضاً منها أحاديث قدسية قال عن وهب: ان في التوراة مكتوب «آزال كل عليك وأنا اتحنن عليك».

قال[١٠]:وان اسم صنعاء في بعض الكتب آزال وفيه: آزال كل

---

(١) تاريخ صنعاء: ٧٦.

(٢) كذا في الأصل وفي تاريخ صنعاء «المقرانة» قال المقرانة يعنى الخيط.

(٣) تاريخ صنعاء طرحه على حرة غمدان.

(٤) الرازي: فبنيت صنعاء بين الجبلين جبل نقم وعيبان.

(٥) نقم: جبل مطل على صنعاء من شرقيها«الحجري: ٧٤٤».

(٦) عيبان: جبل مشهور يطل على صنعاء من جهة الغرب وهو خلف جبل نقم وملاصق له غير انه أعلى من نقم: ٤٧٥».

(٧) كذا في الاصل، قلت: حضور جبل هو غير عيبان ويقع غربي صنعاء ١٨ كم «المقحفي: ١٨٠».

(٨) ظين: ويقال له أيضاً ضين بالضاد جبل هرمي بركاني في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٢٠ كم «المقحفي٣٩٩».

(٩) الرازي: ٦٤ ولم أجد هذا النص بعينه وانما جاء فيه قوله: وحديث سقاية سام بن نوح عليه السلام وذكر مسجد جبل نقم وعيبان وجبل حضور وضين وصبر الخ..

(١٠) الرازي: ٧٥.

يحن عليك[١] وانا اتحنن عليك ويحك من وطيء النعال. آزال بورك فيك وفيما حواليك[٢].

قال[٣]: وان الله وعد صنعاء بخصب مصر يصير لها.

قلت: وقد شاهدنا من خصبها ما لا يسمع ان يكون مثله لمصر والله أعلم.

قال[٤]: وكان غمدان عشرة سقوف إلى اعلى سقف، بين كل سقفين[٥] أربعون ذراعاً، وقيل كان عشرين سقفاً بين كل سقفين عشرة أذرع فكان مبلغ ارتفاعه مائتي ذراع، وانه لم يزل الملوك يعمرونه ويشيدونه ملك يتلو ملكاً إلى أن رأى آخرهم ظله عند طلوع الشمس قد بلغ أسفل عيبان فكف عن البناء. فكل من قال ان (٧٢ ـ ب) فلاناً من التبابعة بنى غمدان فإنما هو باعتبار ما زاد فيه والله أعلم.

قالوا: وكان المدة التي بنى فيها قصر غمدان وشيد واستقام فيها وحسن رونقه نحو ستة آلاف سنة وزيادة.

قالوا: وكان ابتداء خرابه من أيام الحبشة، فإنهم أخربوا بعض غرفه ثم في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قيل انه أمر فروة بخراب شيء منه.

---

(١) الرازي: كل عليك وانا اتحنن عليك.

(٢) الاصل: حوليك.

(٣) تاريخ صنعاء: ١٥٤ وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله تكفل بصنعاء ان يعطيها من الخصب ما أعطى مصر.

(٤) تاريخ صنعاء ٧٩.

(٥) الرازي: كان غمدان عشرة سقوف إلى أعلى سقف فوق سقف بين كل سقفين أربعون درجة.

قلت: ولعل ذلك موضع التماثيل التي كانت فيه لانه قيل كان لحمير بيت طاغوت[1] في صنعاء فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهدمه، فلعله هو أو غيره. وقيل وأمر عثمان بن عفان بخرابه ثم استمر الخراب فيه إلى أيام الملوك بني يعفر [قلت وفيما كتبه الي حسام الدين المحسن بن الحسن الآتي ذكره قريباً ان شاء الله تعالى][2].

قال المسعودي[3]: دخلت صنعاء في حدود ثلاث وثمانين ومائتين يعني من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فرأيت الشريف يحيى بن الحسين[4] يعني الهادي إلى الحق [صاحب] [5] صعدة واليمن قاعداً على رأس غمدان وعنده ابن يعفر وهو يامره وينهاه والحجارة تنقل من غمدان لعمارة الجامع.

قلت: ولا يقال ان الجامع بصنعاء لم يبن الامرة أو مرتين، فقد زاد في المسجد النبوي الصنعاني عدة من الملوك أولهم الوليد بن عبد الملك وجدد المسجد بجملته مراراً.

قال الأخ السيد العارف المؤرخ الأديب المحسن بن

---

(١) الطاغوت: الاصنام وكل ما عبد من دون الله.

(٢) زيادة من هامش المخطوطة بخط المؤلف.

(٣) انظر المسعودي: مروج الذهب.

(٤) هو الامام الهادي الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي مولده سنة ٢٤٥ بالرس من أعمال المدينة المنورة ودخل اليمن سنة ٢٨٠ وتولى الحكم بها توفي سنة ٢٩٨، «اتحاف المهتدين ٤٢٠» «وائمة اليمن ٥ ـ ٥٢٢».

(٥) الحاق بخط صغير فوق السطر بقلم المؤلف.

الحسن بن القاسم بن أحمد أبو طالب[1] ابن الامام فيما كتب به حال جمعي لهذه المنشورات ما لفظه: ورأيت نقلاً لبعض فقهاء بني حنش المتقدمين ان جامع صنعاء قد جدد في الاسلام خمس مرات.

قلت: ويشهد لصحة هذا ما يظهر في زماننا من استواء بنيانه بحيث ان كأن الباني له أسطى[2] واحد لارتباط أحجاره ونسقها وكذلك اركانه واستوائها، ووضع ابوابه حتى لا يظهر فيه أثر [زيادة][3]، ويظهر في أحجاره أثر النقض لما يظهر في بعض الحجارة من أثر المداكمة[4] والله أعلم.

قال الرازي في تاريخه[5]: إن عامة عمارة قصبة صنعاء إنما عمرت بنقض غمدان، مع أنه قال القاضي يحيى بن عبد الله بن كليب[6]

(١) هو من علماء عصره له عدة مؤلفات في التاريخ توفي سنة ١١٧٠ هـ انظر «البدر الطالع ٢: ٧٦ ونشر العرف ٢: ٤٨ ومصادر الفكر الاسلامي في اليمن: ٣٤٧».

(٢) اسطى: المعلم والرئيس في صنعته وتطلق هذه اللفظة عند أهل صنعاء على معلم البناء أو رئيس البنائين، وهي مأخوذة من لفظة الاستاذ الفارسية.

(٣) الحاق بخط صغير فوق عند السطر.

(٤) المداكمة: من الدكم، سبق، وهو الدفع ونحوه.

(٥) الرازي: ٨٤.

(٦) هو يحيى بن عبد الله بن اسماعيل بن كليب أبو سلمة الحميري التنوخي المشهور قاض صنعاء وامام الحديث فيها توفي سنة ٣٤١ ودفن بمسجده بزقاق الغول المعروف إلى اليوم بحي طلحة بصنعاء «الاكليل ٢: ١٥٦ طبقات فقهاء اليمن: ٧٣ تاريخ صنعاء للرازي: ٦٥».

قال: قال[1] بعض قضاة صنعاء عدت[2] دور صنعاء في أيام عمارتها وقبل خرابها مائة ألف دار وعشرين ألف دار، وان مساكين القطيع[3] كانوا سبعين ألف مسكين قال: والقطيع ربع صنعاء. قال[4]: ولم تزل تخرب إلى أن ذكر لي ان صنعاء عدت في أيام أبي جعفر أحمد بن قيس ابن الضحاك[5] وذلك في صفر [سنة أحدى وثمانين وثلاث مائة فكانت ألف دار وأربعين داراً منها خمس وثلاثون داراً لليهود][6].

قلت: وهي في زماننا هذا سنة احدى وسبعين ومائة وألف سنة من الهجرة النبوية [٧٣ ـ ١] عامرة بأوفر عمارة بحيث ان دورها لا تحصى، ولعلها تزيد على عدد ما كانت عليه وقت عمارتها السابقة أيام الصحابة فالخلفاء فالملوك الأموية فالعباسية، بحيث ان لليهود مدينة[7] مستقلة لعل دور اليهود فيها تكون عشر آلاف دار وبيت،

---

(١) تاريخ صنعاء للرازي: ١٦٠.

(٢) تاريخ صنعاء: عددت.

(٣) القطيع: حي في علو صنعاء في الجهة الشرقية الجنوبية من صنعاء بالقرب من مسجد موسى بن المكين المعروف اليوم «تاريخ صنعاء للرازي: ٦٧٦».

(٤) تاريخ صنعاء: ١٦٣.

(٥) امير من آل الضحاك رؤساء قبيلة همدان داخل صنعاء سنة ٣٨١ وسنة ٤٠٥ «تاريخ صنعاء: ٥٧٥».

(٦) الحاق بهامش المخطوطة وانظر هذا النص في تاريخ صنعاء للرازي ١٦٣.

(٧) هي الكائنة ببئر العزب من صنعاء وذلك بعد قيام الامام المهدي أحمد بن الحسن بجلاء اليهود من اليمن بعد مراجعته لحديث النبي صلى الله عليه وسلم «اخرجوا اليهود من جزيرة العرب». ثم بدا له الرجوع في ذلك وامر =

ولقد بلغ بعض سوق صنعاء واديها من السائلة[١] فزاد عليه في الجهة الغربية إلى أن اتصل باسواق اليهود في مدينتهم.

قلت: ولعل[٢] هذا أو ان ما قاله الرازي في تاريخه[٣].

قال: أخبرني محمد بن ماكان[٤] عن وهب بن منبه قال: إذا كان في آخر الزمان خاف البر والبحر الا حران الجزيرة وصنعاء اليمن فيأوي الناس إليها فتبلغ صنعاء ما بين يكلا[٥] إلى ريدة[٦] ويتضايق[٧] ما بين جبليها.

قال[٨]: وأخبرنا عبد الرزاق عن ابراهيم[٩] بن علقمة بن يزيد

= بحصرهم في تلك المنطقة. وبعد قيامهم في بلاد فلسطين هاجروا واخلوا منها ولم يبق منهم إلا قلة في مناطق حاشد وريدة.

قلت: وقد دخل قاع اليهود المذكورة في هذا القرن أثناء وجودهم بها الرحالة العربي نزيه مؤيد العظم ووصف رفاهتهم ومعيشتهم الكريمة. انظره في رحلة في البلاد العربية السعيدة: ١٤٤».

(١) السائلة: مجرى السيل الفاصل بين صنعاء القديمة والجديدة «شرارة وبئر العزب».

(٢) تقرأ هذه اللفظة في المخطوطة: ولعل وبعد

(٣) الرازي تاريخ صنعاء ١٦٦.

(٤) كذا في الأصل وفي تاريخ صنعاء محمد بن ماهان: ١٦٦ الطبعة الثالثة، ومحمد ماجان: ٤٤٦ الطبعة الاولى.

(٥) يكلا: مدينة خربة اعلى عزلة الكميم بالحدا وتعرف خرائبها اليوم بالنخلة الحمراء وواديها يسمى «الزيلة» انظر «المقحفي: ٧١٦».

(٦) ريدة: بلدة اثرية في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٤٩ كم بها آثار تلفم.

(٧) تاريخ صنعاء: تضايق.

(٨) تاريخ صنعاء: ١٥٠.

(٩) كذا في الاصل، وهو خطا صوابه ما جاء في تاريخ صنعاء للرازي: عبد=

عن يزيد بن مرثد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١): «لم تذهب الليالي والأيام حتى تكون صنعاء أعظم مدينة في أرض العرب».

وقال قال عبد الرزاق: سمعت مقاتل بن سليمان يحدث عن مكحول [قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم](٢):

إن الله تعالى تكفل بصنعاء أن يعطيها من الخصب ما أعطى مصر ويكون سوقها في واديها، وأن يملأ ما بين جبليها وأن تباع(٣) ظهور منازلها.

قال: ووجدت بخط علي بن الحسين بن عبد الوارث حديثاً لمسلم بن بشر قال: قال محمد بن اسماعيل بن الأشج(٤) ذكر(٥) ابن أبي مطر أن رجلاً من أهل صنعاء قال له ابن عباس: أبلغت(٦) جبليها، قال: قلت لا، قال: أصار(٧) سوقها في واديها قلت لا، قال: أما إذا كان فلا خير في سكناها.

قال(٨): وأخبر عبد الرزاق عن أبيه قال سمعت وهباً يقول: لا

= الرزاق عن ابراهيم بن محمد عن علقمة بن مرثد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن تذهب الخ..

(١) لم أجد هذا الحديث في مصنف عبد الرزاق.

(٢) ساقط من الأصل وأثبتناه من تاريخ صنعاء للرازي: ١٥٠.

(٣) تاريخ صنعاء، تبتاع.

(٤) الأصل: الاتيح.

(٥) تاريخ صنعاء: ذكره عن أبي مطر.

(٦) تاريخ صنعاء: أقد بلغت.

(٧) تاريخ صنعاء: أقد صار.

(٨) تاريخ صنعاء: ١٥٢.

تنقضي الليالي والأيام حتى تخرب الرحبة وتدخلها السباع وتعمر بعد ذلك ما بين أبيضيها يعني جبليها الأيمن والأيسر(١). ولا تنقضي الليالي والأيام حتى تعود الخلافة في صنعاء.

قال عبد الزراق: فحدثت به معمراً فضحك وقال: ما من بلدة إلا وقد أخذت حصتها(٢) من الخلافة [إلا صنعاء](٣) ولا بدلها من دولة. ثم عدد البلاد [معمر](٤) قال: كان فلان خليفة في موضع كذا وفلان في موضع كذا فعدد البلاد. قال: قلت(٥) من ذكر هذا، فضحك وسكت.

قلت: وبحمد الله قد صارت الخلافة النبوية العلوية الفاطمية فيها من زمن الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام إلى زماننا هذا، وإن شاء الله تكون متصلة بالمهدي المنتظر عليه السلام.

* * *

قلت: واعلم أن صنعاء جنة من جنان الدنيا يكمل لمن شاء فيها الدين والدنيا. ولو لم يكن إلا نظافتها(١) واتساع مساجدها

---

(١) تاريخ صنعاء: الأسود.
(٢) الرازي: خلطها.
(٣) ساقط من الأصل وأضفناه من الرازي ليستقيم المعنى.
(٤) ساقط من الأصل.
(٥) الرازي: قلت ممن يذكر هذا.
(٦) قلت: الحديث عن نظافة صنعاء في القديم الغابر مما لا يتسع المجال له هنا.
وقد زارها الرحالة ابن بطوطة ووصفها بقوله: «صنعاء هي قاعدة بلاد اليمن الأولى مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها الآجر والجص كثيرة الأشجار والفواكه والزرع معتدلة الهواء طيبة الماء. ومن الغريب أن المطر =

المعمورة بأنواع العمارة الحقيقية والمجازية، وكثرة مياهها [٧٣ ـ ب] وطهارتها واعتدالها، لكان في ذلك كفاية. فكيف إذا انضاف إلى ذلك محاسن تقصر عن عدها ووصفها لسان أبلغ الواصفين ممن عرفها على التفصيل والتبيين.

وقد ذكر الرازي[١] منها كثيراً في تاريخه وذكر ابلغ مما ذكر غيره ولله در الشاعر الحميري[٢] حيث يقول[٣]:

دارنا الدار ما ترام اهتضاما ... من عدو ودارنا خير دار
إن قحطان إذ بناها بناها ... بين برية وبين بحار
نطقت بالكروم والنخل والزر ... ع واصناف طيب الأشجار
وتسيح العيون فيها فما أن[٤] ... تسمع إلا تسلسل الأنهار
ليس يوذيهم وهج الحر ... ولا القر في زمان اقترار
طاب فيها الطعام والماء والنو ... م وليل مطيب كالنهار
إن آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

* * *

هذا وإنه قد اخرجنا ما عرض من وصف صنعاء عما قصدنا له من وصف قصر غمدان:

= ببلاد الهند واليمن والحبشة إنما ينزل في أيام القيظ وأكثر ما يكون نزوله بعد الظهر من كل يوم في ذلك الأوان، فالمسافرون ينصرفون إلى منازلهم لأن أمطارها وابله متدفقة والمدينة مفروشة كلها فإذا نزل المطر غسل جميع أزقتها وانقاها».

(١) انظر الرازي: تاريخ صنعاء ١٤٥ و١٤٦ و١٤٨ و١٥٤ و١٦٠ و١٦٤.
(٢) تاريخ صنعاء «تبع» وكذا في الاكليل.
(٣) انظر الأبيات في الاكليل ٨: ٥٦ وتاريخ صنعاء ٨٢.
(٤) ساقط من الأصل والاكليل وأضفناه من تاريخ الرازي.

قالوا[1]: كان غمدان من أعجب بناء بناه الملوك في الأرض، لأنه كان مربع الشكل متسع العرصة محكم الأساس والبنيان مشيداً بالجص ولكل وجه من أوجاهه الأربعة لون من الحجارة مغاير للون الآخر، فجهة بيضاء وجهة خضراء وجهة حمراء وجهة سوداء. وكان في أعالي كل ركن من أركانه تمثال أسد وتمثال نسر من الصفر شارعة في الهواء من أوساطها أجوافها فارغة وأفواهها مفتوحة، فإذا هبت الرياح دخلت في أجوافها فيتولد منها أصوات كزئير الأسود وصقيق[2] النسور. وكان في كل منازله اللهوج[3] الكبار عليها مصاريع خشب الساج المكللة بالأبنوس والعاج المنضدة بصفائح الحديد المموه عليه الصفرة ونحوها.

ثم في كل منزل كوات كثيرة مختمة بالرخام لجلب الضياء ودفع الهواء. وكان على رأسه ثلاث عشر غرفة كذلك مع زيادة اعتناء، وكان عليها غرفة مربوعة هي مجلس الملك مفتحة الجهات عليها مصاريع اللهوج العجيبة كثيرة الكوات والخوخات التي فيها الرخام ونحوه. وكانت مطبقة بقبة كأنها البيضة من الرخام المنضد بعضه إلى بعض بالصناعة المحكمة، بحيث أن المستقلي على

---

(١) عبارة الرازي «وكان له أربعة تماثيل من الصفر عن كل ربع من أركانه تمثال على صورة الأسد، كل تمثال رأسه وصدره خارجان عن القصر ورجلاه في الدار. وكانت الريح إذا هبت في أجواف تلك التماثيل سمع لها زئير من مكان بعيد».

(٢) كذا في الأصل وهو تصحيف صوابه الصفير وهو صوت النسر. انظر فقه اللغة للثعالبي: ١٣٩.

(٣) جمع لهج وهو الكوة «الاكليل ٨: ٦١» وفي حضرموت يطلق اللهج على مصراعي الكوة أو النافذة.

ظهره يرى حجم الطير في الهواء وهو داخلها. وكان إذا أوقدت فيها القناديل والشماع رؤيت في الليل من رأس عجيب[1]. وكان الأغلب أنها لا توقد فيها إلا إذا أراد الملك جمع قبائله المقاربة لصنعاء، فإذا رأوها في الليل مضيئة علموا أن للملك إلى جمعهم حاجة فيحضروا [٧٣ - ١] بكرة ليلتهم تلك بأجمعهم. هذا خلاصة مانعته به الرازي[2] وغيره.

قال الرازي: ويحيط بمدينة صنعاء القريبة منها يعني التي يجمعهم مخلافها ويتسوقون أسواقها، عشرة آلاف قرية عامرة.

قلت: فلعل كان إيقاد ما يوقد في هذه الغرفة لاحضار جميع أهل هذه القرى لقربها من صنعاء.

قلت: والأغلب أن هذه القرى عامرة في زماننا فما أعلم شيئاً خراباً منها والله أعلم.

قال الخزرجي[3]: قال ابن يعقوب:

من[4] بعد غمدان المنيف[5] وأهله ... فهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعدا ... عشرين سقفاً سفقها[6] لا يقصر

---

(١) عجيب: جبل يقع شمال ريدة من قاع البون من أرض حاشد على بعد نحو ٦٠ كم شمال صنعاء «تاريخ صنعاء ٦٦٥».
(٢) الرازي: ٨٣.
(٣) كذا ولعله الرازي فسبق قلمه انظر تاريخ صنعاء: ٨٣ والاكليل ٨: ٥٠.
(٤) الأصل: ان.
(٥) الأصل: المنير.
(٦) الأصل: سقفاً سقفاً.

ومن السحاب معصب بغمامة ... ومن الرخام ممنطق[1] ومؤزر
[متلاحكا][2] بالقطر منه صخره ... والجزع بين صروحه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر ... أو رأس ليث من نحاس يزأر
والطير عاكفة عليه وفودها ... ومياهها قنواتها[3] تتهدر
ينبوع عين لا يكدر[4] شربها ... فبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومة فمتى يرد ... أربابه من حوله لم يعسر[5]
جا[6]قضهم بقضيضهم إذ عاينوا ... نار الرخامة [في صفاها][7] تزهر
هذاك كان صريخهم[8] لجموعهم ... من غير منبعث تعود يخطر
فازاله الدهر الخؤون وأهله ... فحوتهم[9] بعد التجارب أقبر

---

(١) الأصل: مطيق.
(٢) بياض في الأصل.
(٣) الأصل: قنواها.
(٤) الأصل: يسرط.
(٥) تاريخ صنعاء والاكليل: يعسروا.
(٦) الأصل: حتى.
(٧) ساقط من الأصل.
(٨) الأصل: تصريحهم.
(٩) الأصل: فحررتهم.

فصل

اعلم أن لما ذكرنا ما ذكره من كان قبلنا من وصف صنعاء وغمدان هيجنا ذلك ودعا إلى ذكر بعض ما زادها الله سبحانه وتعالى من المحاسن في زماننا هذا القريب الذي أقربه سنة إحدى وسبعين ومائة وألف سنة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

وأما ما ذكره المؤرخون، من طيبها وحسن هوائها واعتدالها وجميع ما قد ذكروه واصّلوه من صفاتها التي هي عليه وأبلغ من ذلك، فلا نذكرها بل رجوع الراجع إليها، وإنما نحن نذكر هنا إن شاء الله غيرها غير مبالغين ولا مقصرين بل نقصد سبيلاً وسطاً إن شاء الله تعالى.

فنقول: اعلم أن صنعاء الأغلب على بيوت طاعتها من المساجد المعتمدة وعلى دورها القصور المشيدة وعلى جميع مخارفها، التي هي جنات جنان الدنيا، قد جددت وعمرت على ما يوافق أهلها بأحسن بناء وأبلغ أحكاماً وأكمل اعتناء. بحيث أن ما بقي من مساجد صنعاء القديمة ودورها السابقة التي كانت عند أهلها في ذلك الزمان عظيمة، والمخارف التي كانت ثمينة [٧٤ ـ ب] التي شملها وصف المؤرخين الذي ندرك أن لها من ذلك الزمان القديم بما نجده من رسومها المكتوبة بالخط الكوفي

القديم ونحوه، قد صارت مهجورة بل مجدورة لا يرغب إلى سكناها القبائل الطغام وإنما قد سكنها الدراويش الهابطون إليها من الأنام لعدم المرغبات.

وأما المساجد فلعدم الصروح[1] والمتوضيات الفائضة بالماء والمستراحات[2] والبساتين بل كانت خالية عن هذه المرغبات، غايته إنه كان يكون عند أحدها بئر بغير سانية بل منزعة[3]، والدور القديمة كانت على سقفين أو ثلاث مفتوحة الوسط ضيقة الدرج والمساكن، والمخارف كانت غير ما هي عليه، فرغب الناس إلى بنيانها المستجد.

وسبب ميلهم إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى أوجد بصنعاء صناعاً في كل المهر [4] التي يحتاج إليها الناس، في البناية والنجارة والحدادة والحياكة والصباغة والجصاصة والفلاحة وغيرها، ما لا يسمح أنه كان فيها مثل ما يوجد بها الآن. فإن أقل أحوال صناعتها الماهرين، كل صانع في صناعته بمن يتبعه من أعوانه من المسلمين واليهود والبانيان[5] والرازبوت[6]، عشرة آلاف عامل على التقليل وليس هذا مبالغة بل قصرت وحقرت.

وأقل حال ما يطرح فيها كل يوم من الصخور التي تقطع من مقاطيع الجبال ثلاث اربعمائة جمل وحمار.

---

(١) الصروح: جمع صرح وهو الفنا حول المسجد.

(٢) جمع مستراح: موضع قضاء الحاجة.

(٣) منزعة: أي دلو صغير تجر باليد دون العجلة ونحوها.

(٤) المهر: بكسر الميم جمع مهرة الحرفة.

(٥) البانيان: سيأتي شرحه.

(٦) الرازبوت: سيأتي شرحه.

وفيها نحو عشرين مطبخ التي يطبخ فيها الياجور[1] [الآجر][2] المحرق في المحاريق، وأما اللبن الذي لا يحرق فشيء كثير.

وأما محاريق الجص والنورة التي يطبخ فيها فشيء كثير واسع، لعله يزيد على المائة والمائتين المحراق في صنعاء وما يقرب منها. ثم احمال الجص والنورة والرخام الذي يقطع من معادنه فيدخل المدينة منه شيء واسع، قد يدخل في اليوم الواحد المائة الحمل والمائتين الحمل من مجموع ذلك على الجمال والحمر. وأما الخشب والصروف[3] التي يحتاج إليها في الأعمال فشيء يقصر عن عدة باع من رام احصاءه.

وعلى الجملة أن لصنعاء ثلاثة أبواب معتمدة قبلي[4] وغربي[5] ويماني[6] من بقي ينظر ساعة من النهار فيما يدخل من

---

(١) الياجور: سيأتي شرحه.

(٢) زيادة بخط صغير فوق السطر.

(٣) الصروف: هي الواح الخشب (معروفة).

(٤) يعني شمالي وهو باب شعوب قال القاضي الحجري في مجموع بلدان اليمن ٥١٢، وصنعاء في العصر الحاضر تشمل ثلاثة أحياء الأول صنعاء وهو الجانب الشرقي وهو أعظمها، ويليه بئر العزب غربي صنعاء ثم قاع اليهود غربي بئر العزب. والثلاثة الاحياء محاطة بسور مساحته خمسة أميال له أبواب من جنوبه باب اليمن باب خزيمة وباب البلقة ومن غربه باب القاع ومن شماله باب شعوب وباب الشقاديف وباب الروم. قلت قد اندثرت هذه الأبواب مع اندثار سور صنعاء ولم يبق منها سوى باب اليمن وهو معطل عن الفائدة لاندثار السور المحيط بها كما قلنا.

(٥) يعني باب القاع في ذلك الوقت.

(٦) يعني جنوبي وهو أشهر أبواب اليمن والقائم حتى اليوم ويسمى باب=

هذه الأبواب مما ذكرنا وغيره رأى عجباً. ولا أمثل ذلك إلا بالذر الكثيرة الواسعة عند أبواب قراها بعد المطر وحصول الصحاء. وهذا ما يدخل مدينة صنعاء فضلاً عما يقصد به ما حول صنعاء من مخارفها(١)، التي قد صارت مدنا كباراً جامعة للمساجد الجوامع والأسواق والحمامات، وغير ما يقصد به إلى مدينة(٢) اليهود غربي صنعاء فإنها [٧٥ ـ ١] قد صارت من الأمصار المجمع على تمصيرها، إذ يسكنها فوق العشرة الآلاف من الذميين الذين قد صارت لهم بها الدور والقصور ولهم فيها الأسواق الجامعة، ولهم فيها إلى تاريخ رقمنا أربعة عشر كنيسة معمورة حقيقة ومجازاً، يضاهي كبرها وفرشها واقامتها مساجد المسلمين الكبار(٣)، وصارت في نماء وزيادة ما قد كمل دين اليهود ودنياهم مثل ما كمل في هذا الزمان العجيب والتاريخ القريب.

[الذي أقربه الوقت الذي الفنا فيه هذه المنشورات وهو سنة

= اليمن. وفي القرن الحادي عشر كان يسمى باب عدن. انظر بهجة الزمن ليحيى بن الحسين مخطوط.

(١) مخارفها: جمع مخرف وهو المصيف الذي يصطاف منه الناس أثناء القيظ ويقضون فيه أوقات الخريف «زمن نضوج الثمرة».

(٢) يعني قاع اليهود السابق.

(٣) قلت: انظر إلى سماحة المسلمين وانصافهم حيث يضع الإسلام لليهود حقوق أهل الذمة وهي حقوق انسانية لم تصل إليها القوانين المعاصرة على دعواها الرفق والرحمة. وقد بلغ باليهود في اليمن أن تصبح الثروة والغنى بايديهم بينما يعيش كافة المسلمين على الكفاف والعوز. واين هؤلاء الملعونون على لسان الأنبياء مما صار إليه الحال في بلاد فلسطين المسلمة، وبعد أن تملكوا زمام الحكم وساموا المسلمين سوء العذاب «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود».

احدى[1] وسبعين ومائة وألف. وذلك أنه أمر في هذا التاريخ بهدم عشر كنائس من كنائس اليهود في مدينتهم هذه المذكورة وأبقى لهم ثلاث فقط.

وأمر بتقصير دورهم المرتفعة وأقرهم في رفعة الدور على سبعة عشر ذراعاً صاعداً لازدياد فلكل دار كان زيادة على هذا القدر قصرت إليه][2].

وإن لهم أيضاً مساكن في غير هذه المدينة وهي قرى قريبة من صنعاء. ولهم في الصناعات جميعاً باع طويل، ومنهم أهل دار الضرب الذين يضربون الدراهم والدنانير يزيدون على مائة صانع.

فإذا عرفت هذا وعرفت ما رزق براري صنعاء من الخصب الذي وعد الله سبحانه وتعالى به، كما في الحديث السابق ان الله وعدها بخصب مصر يصير إليها، فإنه ارتفع بحرها[3] هذه المدة ارتفاعاً كبيراً حتى كاد أن يبلغ نصف الآبار وظهر الماء، في حفر التراب بحيث أنها صارت كالبرك مستمرة فيها الماء، وتفجرت الأنهار فصار حولي صنعاء نحو عشرين نهراً تسقى مخارفها وبساتينها وأغلب زروعها فخفّ عمل ما يسقى بالسواني، حتى أنها لتسقي جميع الأثالات[4] والشجر غير المثمرات بماء الغيول. فلهذه الأسباب عمرت صنعاء هذه العمارة.

---

(١) الأصل أحد.

(٢) الحاق بهامش المخطوطة كتب بخط المصنف.

(٣) يعني مياهها.

(٤) الأثالات: كذا جمع المؤلف الأثل وفي القاموس جمعه أثلات وأثال وأثول شجر من فصيلة الطرفيات يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية. خشبه صلب.

مساجد صنعاء

وأما مساجد صنعاء، التي هي بيوت الطاعات غير المهجورة، فأقل احوالها أنها خمسون مسجداً[1] جامعاً، مبنية باحكم بنيان بالحجارة المنجورة باحلاس[2] الدعائم التي عليها العقود والسقوف العظيمة التي لا يوجد مثلها في الأمصار، إلا أن تكون دعائم المرمر التي بمسجد الحرم[3].

فأما في الرفاعة[4] والارتفاع فهي مثلها وفيها الأبواب واللهوج[5] الكبار، وقد أحاطت الكوات باعلاها التي فيها ألواح الرخام والزجاج من البلور[6] وغيره. وقد شيدت بالجص وزخرفت

(١) في مساجد صنعاء للحجري بلغ مجموع ما ذكره مئة وستة عشر مسجداً هي مجموع المساجد العامرة في وقته. وقد زادت الآن في هذا الوقت لتوسع العمران.

(٢) جمع حلس: كأنها مواضع الدعائم وقواعدها وفي القاموس الحلس كساء تجلل به الدابة تحت البردعة ومسح يبسط في البيت.

(٣) يعني الحرم المكي.

(٤) الرفاعة هنا بمعنى الاتقان والجودة.

(٥) اللهوج سبق ذكرها وهي هنا الأبواب الصغيرة التي تكون على النوافذ ونحوها.

(٦) البلور صنف من الزجاج هو أحسن أصنافه وأشدها صلابة وأكثرها بياضاً =

المحاريب وغيرها بما يقصر عنه الوصف. وقد فرشت بأنواع الفراشات التي أعلاها المفارش الروم[١] وأدناها البسط وأوسطها الكلمات[٢] النعماني[٣] وغيرها.

وإليها الصروح[٤] التي هي رحبة المسجد المفروشة بحجارة الحبش[٥] المنجورة، وعندها الآبار المطوية[٦] التي عليها الأساور[٧] المرتفعة عليها خشب العجيل[٨] التي تجر البقر السواني غروب[٩] الماء الهائلة عليها حتى تصبها إلى أحواض معدة تسمى المراجو[١٠]، يسير الماء عليها في جداول على بنيانات[١١] مرتفعة

= وصفاء معرب من لفظة فيرلس باليونانية. وقد يصبغ البلور بألوان الياقوت فيشبه الياقوت.

(١) يعني المفارش الرومية أي المصنوعة في بلاد الروم، تركيا في العصر الحاضر.

(٢) الكلمات جمع كليم نوع من البسط يصنع من الخيوط المتينة ، واللفظة اعجمية.

(٣) النعمـاني: يعني العماني نسبة إلى بلد عمان بضم العين البلد المعروفة.

(٤) الصروح: جمع صرح شرحه المؤلف.

(٥) الحبش حجارة سوداء متينة لا تتأثر بالأملاح مهما غبر عليها الزمان.

(٦) يقال بئر مطوية: أي مبطنة بالحجارة.

(٧) الأساور جمع سور وهي البنية التي تحمل الدلو.

(٨) العجيل: جمع عجلة معروفة وكذا يجمعها أهل صنعاء وفي القاموس: جمعها عجل وعجال.

(٩) غروب: جمع غرب بفتح العين وسكون الراء وهو عند أهل اليمن الدلو الكبير يصنع من الجلد ونحوه وفي القاموس الغرب بفتح العين والراء: الماء يقطر من الدلو بين الحوض والبئر.

(١٠) هو الحوض يتلقف الماء المفاض من البئر ثم يتحول إلى مجار متعددة.

(١١) كذا عند المؤلف: اراد جمع بنيان.

محكومة[١] [٧٥ - ب] البناء والقضاضات[٢]، حتى تنفذ إلى مطاهير[٣] قد اعدت للطهر فيها مبنية بأحكم بنيان قد رصت بالصخور والقطر[٤] من تخوم الأرض، ثم جعلت حقوباً[٥] على كل حقب منها جدارات[٦] كجدران الدكاكين، مع مساتر[٧] على أبوابها تحيط بصرحه يجمعها عليها سقف واحد على دعائم قد أعدت كدعائم المساجد قد أحكمت بالقطر والقضاضات. يحيط برأس جدارات تلك المطاهير جداول الماء الذي يصل من الأحواض التي تسمى المراجو التي تصب غروب السواني اليها، إلى كل مطهار من تلك السواقي منفتح للماء فيه أنبوب حديد يصب الماء إلى كل مطهار منها، فيسمع للماء في مجموعها دوي كدوي السيول الكثيرة.

---

(١) محكومة: أي محكمة البناء.

(٢) جمع قضاض: وهو ما يعمل على البرك ومجاري المياه وهو عبارة عن حصى صغيرة تخلط بالنورة (الجير) وتدك فتتحجر، ولعله مأخوذ من القضاض أو القضة وهي صغار الحصا. وهذه الطريقة تستعمل قبل ظهور الاسمنت ويسمى لغة بالصاروج، يقال صرج الحوض تصريجاً بناه بالصاروج أي النورة واخلاطها. وفي القاموس القض: الحصى الصغار.

(٣) المطاهير: جمع مطهار هو المطهر موضع الطهور والمتوضي وفي البيوت هي مواضع قضاء الحاجة والطهور أيضاً.

(٤) القطر: هو المادة الاساسية المستخدمة في القضاض السابق ذكره وهو عبارة عن نورة مع تراب متحجر.

(٥) حقوباً: مفردة حقب وهو بناء صغير كالخزان يخصص للماء وفي غير موضع المتخذات يتخذ كاماكن لتخزين الحبوب على أجناسها المختلفة.

(٦) جدارات: جمع جدار صوابه جدران.

(٧) مساتر: متخذات صغيرة تكون بجوار المسجد أو غيره.

فمن أراد الطهور فقد أعد له حجران مربوعان تساوي الماء كي[1] يقعد عليها.

ومن أحب الاغتسال وضع حوائجه على خشب قد أعدت معترضة عنده لا ينالها الماء، فينزل في تلك الحقب إلى أن يبلغ ثدييه والماء حق[2] الأنبوب[3] يصب على رأسه، فإذا انغمس بمجموعه في الماء لم يخش على حوائجه لأنها عنده.

ثم يخرج إلى حوض عريض طويل يسمونه المصفى[4] ملان من الماء، لأن لهذه المطاهير أخزاق[5] من أسفلها ليتصل ماء بعضها ببعض إلى هذه المصفى فيغسل الغاسل رجليه.

ثم يدخل المسجد من طارود[6] مفروش بالحجارة المنجورة إلى المسجد.

نعم وماء مجموع هذه المطاهير يفض إلى بركة كبيرة قد أعدت لاجتماع الماء فيها. وقد يكون فيها مطاهير خارجية شمسية

---

(١) الكلمة في المخطوطة مضروب عليها ولعلها هكذا.

(٢) حق: هنا بمعنى تابع أو ملك من كلام (أهل الجزيرة العربية).

(٣) الأنبوب: قصبة الماء وقناته جمعه أنابيب.

(٤) حوض مستطيل أوسع من الأول يكون مكشوفاً.

(٥) اخزاق: جمع خزق وهو هنا المنفذ والفتحة الصغيرة تكون في أسفل البركة ليتسرب الماء منها وفي القاموس: خزقه يخزقه خزقاً طعنه والسهم الهدف قرطس ونفذ فهو خازق، وفي الحديث إذا خزق المعراض فكل أي إذا نفذ المعراض من الصيد جاز أكله.

(٦) طارود على وزن فاعول وهو من الطرد الممر الطويل يكون بين غرف المنزل وغيره، وهو من كلام أهل صنعاء.

ثم تفجر(١) المطاهير هذه يومية(٢) إليها أو عن ثاني [يوم](٣) عند غسلها، ويجدد الماء فيها ثم تنفجر هذه البركة التي يجتمع فيها الماء إلى بستان كبير قد أعد عند ذلك المسجد، فيه أنواع الشجر المثمرة والبقول المتنوعة، قد وكل به بستنجي(٤) متمكن من البقر والحمر والأعوان فهو محتاج في كل وقت إلى نزع الماء لاحياء البستان.

ولا طريق للماء إلا من مطاهير الطهور، فالماء الجاري كالنهر، لأن أحقر بئر لهذه المساجد عليها ثلاث أربع سواني مستمرة الليل والنهار، لا يفسح لها إلا ساعة من الليل لأن لها دولاً(٥) فبعضها يطعم وبعضها يعمل في المسنى، فهو في الجملة حكم النهر المستمر بحيث أنه لا يتشكك في الطهارة في هذا الماء أحد من فرق المسلمين الذين أعظمهم تحرّ في الماء الزيدية(٦) والحنفية، فهو عندهما ماء جار مستمر الجري، وإذا كان جارياً فهو يجر الحمامة حال جريه بل الدجاجة فضلاً عن التبنة.

وعلى هذا فكل مسجد من هذه المساجد وهذه [٧٦ - ١]

---

(١) تفجر: بضم التاء وسكون الفاء وفتح الجيم من فجر الماء يفجره فجراً بحبسه وجعله يتفجر.

(٢) أي يومياً.

(٣) زيادة من عندنا.

(٤) أي بستاني وجي من بقايا كلام الترك في اليمن وكأنها بمعنى ياء النسبة في العربية.

(٥) جمع دول: وهو الحصة من الزمن يتناولها أصحاب الدول.

(٦) انظر في ذلك باب المياه من شرح الأزهار لابن مفتاح ١: ٥٣، ٦٤.

المطاهير تسرج فيها القناديل الكثيرة والسرج الواسعة بالليل.

ثم لا يزال التفقد لها بالكنس ومجامر البخور من اللبان[١] الشحري فما فوقه.

ثم في كل مسجد سبيل[٢] من كيزان [٣] الغضار[٤] المعد فيه الماء الباشوي[٥] الينعي[٦] للشرب.

---

(١) اللبان الشحري: نسبة إلى الشحر بلدة معروفة من حضرموت على ساحل البحر، واللبان هو الكندر «معرب لبونه بالعبرانية أو ليفانوس باليونانية».

(٢) سبيل: ماء مباح للناس.

(٣) كيزان جمع كوز وهو إناء من فخار له عروة وهو أصغر من الابريق واللفظة معربة من الفارسية.

(٤) الغضار: حجر معروف لين يطحن وتصنع منه بعض الآنية الفخارية البيضاء وفي القاموس: الغضار الطين اللازب الأخضر الحر وخزف يحمل لدفع العين، والغضارة الغضار للطين اللازب المذكور والقصعة الكبيرة واللفظة فارسية انظر محيط المحيط للبستاني: ٦٦١.

(٥) الباشوي: نسبة إلى بئر الباشا وهذه البئر تنسب إلى الباشا العثماني محمد في بداية القرن الحادي عشر للهجرة، وهي بجوار مسجد الحيمي الواقع في الجهة الشرقية الجنوبية غربي الطريق النافذة من باب اليمن إلى قصر غمدان. ويعتبر ماء هذه البئر من أعذب المياه بصنعاء على الاطلاق، وما زال أهل صنعاء يردون البئر والعين لعذوبة مائها «تاريخ صنعاء ١٥٤ ومساجد صنعاء للحجري: ٥٠».

(٦) الينعي نسبة إلى البئر المذكورة في تاريخ صنعاء للرازي في أثناء الحديث عن أهل صنعاء: ١٤٤ «ومن استسقى من بئر لهم يدعونها بئر الينـاعي من شرقي البلد، ينصب ماء تلك البئر وينشع «يرشح» إليها من جبل صنعاء الذي يسمى نقم، فصبه في جبه وجرته فأقام ذلك الماء في ذلك الجب أو الجرة شهراً لم يتغير طعمه فإذا فرغ الماء من الكوز لم يجد له ثقلاً كالذي يوجد في سائر مغارات الماء. وهو ماء لذيذ طيب =

ثم في كل مسجد المصاحف العظيمة والأجزاء الواسعة في المقدمات.

وفي كل مسجد جملة من طلبة المذاكرين في كل فن من فنون العلم من أصول الدين وأصول الشرائع والأحكام وأصول الفقه والفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق وغيرها.

والطلبة والمعلمون من أهل المدينة واغراب لأن حولي كل مسجد من هذه المساجد بيوت كالحوانيت وأكبر تسمى «المنازل»(١) معدة للأغراب والمتعلمين.

وعند كل مسجد من هذه المساجد مستراحات لقضاء الحاجة مرتفعة عن الأرض تحتها سردابات لما يجتمع فيها.

وهذه المستراحات قد بنيت بأحسن بناء عليها القبب والجملولات(٢) مشدة بالقضاض والجص من جميع نواحيها باطناً

= مروي خفيف حلو صاف لا كدر ولا ثقل فيه ولا يزال بارداً أي وقت شربته في الليل أو النهار أو الشتاء أو الصيف يشرب في الصيف، بارداً كما يشرب في الشتاء لا فرق بينهما، يباع أربع قرب كبار بدانق من ستة دوانق من درهم قفله وهذا ما لم نره إلا فيها. لأن كل ماء ترى فيه كدراً وترى فيه ثقلاً لا بد وأن الفرات يكون الرجل على النهر فيشرب فلا يخلو أن يبقى في الاناء له كدر أو ثقل، ويحتاج أن يبرد ويعالج بالثلج وغيره ويقام عليه حتى يطيب شربه في الصيف.

(١) مفردها «منزلة» أماكن معدة للطلبة فوق أسطح المساجد.

(٢) كذا في الأصل صوابه جملونات وهي قباب صغيرة تكون فوق السقف بقصد تقويته. وفي محيط المحيط الجملون سقف محدب مستطيل فإن كان مستديراً فهو قبة، وهو من اصطلاح العامة ويطلقونه على بيت من الخشب أيضاً ومنهم من يقول: الجملون بلامين والجملون بفتحين.

وظاهراً، وعليها خدم يتفقدونها بالكنس والغسل ويؤهبون لمن يريد قضاء الحاجة الحجارة الطاهرة في محلات متنزهة.

ثم عند كل مسجد سبيل قبة وحوض للماء يغترف منها الناس وقد تكون قبتين أحداهما للرجال والأخرى للنساء ولا يمنع منها أحد، والأحواض تشرب منها المواشي ويغترف منها أهل البناء والأعمال.

وعند كل مسجد من هذه دار للمسجد يسكنه الساني لأجل يكون قراش[١] المسني قريبة منه.

وعلى السواني سقيف[٢] يسمى المرانع[٣] لأجل لا يمنعها عن العمل المطر ونحوه.

وصلاح هذه جميعه من بذور[٤] أوقاف واسعة وأكريات[٥] حوانيت للبيع والشراء المستغلة، فإن في صنعاء أكثر من ثلاثة أربعة[٦] الآف حانوت مستغلات للوقف، وللوقف خانات[٧] ولها

(١) القراش: حيوانات الزراعة كالبقر والحمير والجمال مفرده قارشة.

(٢) سقيف موضع مسقوف.

(٣) المرانع: مفرده مرنع وهو الأخدود يشق باطن الأرض على شكل تدريجي ليسهل نزول الساني عند رفع الدلو من البئر.

(٤) بذور: زراعة.

(٥) اكريات مفرده كراء وهو أجر البيت والدابة ونحوهما، يقال كاراه الدابة والدار مكاراة وكراه أجره فهو مكار والكراء اجرة المستأجر وهو مصدر في الأصل من كاريته.

(٦) يعني من ثلاثة أو اربعة آلاف حانوت.

(٧) خانات جمع خان محل نزول المسافرين ومعناه بالفارسية بيت.

ضياع كثيرة وأشجار واسعة. [و][1] على الجملة أنه يقال إذا خربت صنعاء أقامها الوقف وإذا خرب الوقف لم تقمه صنعاء.

فهذا ما قصدنا من جملتان[2] وصف مساجد صنعاء ولم نقصد المسجد الجامع[3] وإنما هو ما جعل أمره مثبتاً[4]، على ما ذكرنا في المساجد، لأنه له بثران على كل بئر ارفع[5] سواني يكون ثماني سواني بدول كل ثمان سواني، ثمان سواني وقس[6] على ذلك غير.

فان[7] سرج مؤخره بين العشائين [صار][8] كالنجوم، وقناديله وقناديل الأجنحة كثيرة جداً، وفيه من الفرش ما يقصر عنه الوصف.

نعم هذا واعلم أن جميع مساجد مخارف [٧٦ ـ ب] صنعاء

(١) زيادة من عندنا ليستقيم المعنى.
(٢) كذا في الأصل والكلمة خالية من النقط.
(٣) هو جامع صنعاء المقدس أول مسجد عمر باليمن عمره وبربن يحنس الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله في سنة ٦ هـ توسع حوله صاحب كتاب مساجد صنعاء ٢٣ ـ ٣٨ وانظر تاريخ صنعاء للرازي: ٦٣ ـ ٧٧.
(٤) كذا واللفظة خالية من النقط فتقرأ أيضاً مثنياً.
(٥) كأنه رافعات للماء من البقر والحمير.
(٦) في الأصل: وقيس واصلحناه من عندنا.
(٧) كذا.
(٨) زيادة من عندنا.

قد صارت مدنا كالروضة[1] والجراف[2] وبئر العزب[3] وما إليها، كل مسجد منها صفته تقارب من هذا الوصف خصوصاً أيام الخريف[4]، إلا جامع الروضة الأحمدي[5] الذي قال فيه الشاعر[6]

لا تحسب الجامع في روضة   إنما الروضة في الجامع

فإنه يقصر عنه وصف الواصفين فلا مثله في صنعاء، ولا أظن في قطر من أقطار الدنيا فما هو إلا روضة من رياض الجنة، فإنه يزيد على ما وصفنا به المساجد الصنعانية بأوصاف كثيرة.

---

(١) الروضة هي روضة أحمد شمال صنعاء بمسافة خمسة كم في الطريق إلى مطار الرحبة، واسمها القديم المنظر ثم عرفت بروضة حاتم نسبة إلى بانيها السلطان حاتم بن أحمد اليامي، وتشتهر الروضة بأنواع عنبها قيل فيها شعر كثير (المقحفي: ٢٧٦).

(٢) الجراف قرية جنوبي روضة حاتم صارت اليوم مع العمران جزء من صنعاء والجراف بكسر الجيم وفتح الراء «المقحفي ١١٦».

(٣) بئر العزب: سبق ذكرها وهي الجانب الغربي من صنعاء وفيها يقول الشاعر:

وبغربي ازال جنة   روضها يسترقص القلب طرب
طلق لهم بها ساكنها   فلهذا سميت بئر العزب

(٤) أي أيام ثمرة الخريف «الاصطياف».

(٥) الأحمدي نسبة إلى مؤسسه أبو طالب احمد بن القاسم بن محمد مولده سنة ١٠٠٧ وأخذ بصنعاء عن جماعة من علماء عصره وكان رئيساً نبيلاً، تولى لوالده جهات صعدة وبلاد الشرق وسارت بذكره الركبان، ومن أجل مناقبه عمارة جامع الروضة المذكور توفي سنة ١٠٦٦ «ملحق البدر الطالع: ٤٢».

(٦) مجموع الحجري.

هذا واعلم أن لكثير من هذه المساجد منارات قد ارتفعت إلى أعالي الهواء، وفي بعضها من الصناعات والكَتْب بالياجور والجص وفيها أنواع من جامات الزجاج[1]، ولم يكن مثلها في الحرمين الشريفين على ما شاهدنا بل ولا غيرها على ما أخبرنا غير واحد.

وفي كل مسجد من هذه المساجد الأئمة للصلاة والمؤذنين والسدنة والخدام ما يكفي كل مسجد، ولم تزل الصلوات في كل مسجد من الثلث الأخير في الليل إلى قريب الثلث الأول منه [في الليلة الثانية][2].

وعلى الجملة أنها لا تغلق المساجد إلا ساعات من وسط الليل وساعات من وسط النهار.

وقد يتخذ ناس على المساجد مفاتيح خاصة لمن يحب احياء الليل جميعه ولم تزل الجماعات.

وعلى الجملة أني لم أظن أن في بقاع الدنيا ما لمساجد صنعاء اليمن من الطاعات والعمارات الحقيقية والمجازية، فحماها الله بحمايته وكلاها بعنايته وسلمها الفتن وجنبها المحن بحق محمد وآله.

فهذا القدر ما يليق بوصف مساجد صنعاء هنا وقد قصرنا في وصفها لكن هذا ما حضرنا حال رقمنا.

---

(١) اللفظة في الأصل بدون نقط وكتبناها اجتهاداً.

(٢) الحاق فوق السطر بخط صغير.

دُورُ صنعاء

قلت: هذا وأما دور صنعاء التي هي بيوت الدنيا ومساكن الأحياء فقد بنيت من أساسها الى رؤوسها بناءً لم يبن مثله[1] قبله، خصوصاً دور ملوك زماننا وأعوانهم الأمناء.

فأساسها الذي تحت الأرض أسس بصخور عظيمة لم تنجر حتى ساوت الأرض، ثم بنيت من فوق ذلك بحجارة الحبش[2] السود المنجورة المنقوشة بالحجارة الحمراء[3] وغيرهما حتى بلغ بناؤها السقف الثالث. ثم بنيت بالياجور[4] ونقشت به الخواتم[5] والتعريجات سقفين أو زائد، فيكون كل دار خمسة ستة سقوف بين

(١) هنا كلمة مضروب عليها.

(٢) سبق شرحها.

(٣) في اليمن أنواع متعددة الألوان من الحجارة تجلب من جبال معينة ومنها الحجارة السوداء والبيضاء والحمراء والخضراء.

(٤) الياجور: هو الآجر خففت الهمزة الى ياء قال في محيط المحيط: الاجور والياجور والاجور والاجّر والاجُر والجِر والآجرون والأجرون والآجرّون معرب أكور بالفارسية وهو تراب يحكم عجته وتقريصه ثم يحرق ليبنى به.

(٥) الخواتم: يعني خواتم البناء وهو أعلى ما في المنزل أو وسطه كالزنار وقد يكون ذلك الذي يجدر به كل دور من أدوار المنزل وهو ما يسمى عند المتأخرين بالحزام.

كل سقفين(١) نحو عشرة أذرع. تبلغ إلى

(١) يقول القاضي العلامة عبد الواسع الواسعي في كتابه فرجة الهموم ٣٦ في وصف فن المعمار عند أهل صنعاء: «شكل بيوتها عالية بعضها الى ست طبقات، ونادراً الى سبع طبقات بناؤها أكثر اتقاناً وأجمل هندسة لأن الأسلوب العربي فيها لا يشبه شيئاً من بناء الأجنبي هندي أو أوربي. وهي مبنية بالحجارة البيضاء والسوداء وتسمى في اليمن بالحبش بفتح الهاء المهملة مع الباء الموحدة، وبعد طبقتين أو ثلاث طبقات بالأحجار يبنى بالاجر. وخارج صنعاء بعض بيوت الزراع يبنون بالطين أو اللبن وبين كل طبقتين حزام أي زنار في غير اليمن، وهو منقوش بأشكال هندسية ويسمى الحزام في أصل اللغة النطاق. وفي كل نافذة كوة وأهل اليمن يسمون النافذة طاقة وتسمى الطاقة شباك إلا أن أبوابه مخرمة بأشكال هندسية، وينظر منه الى خارج المنزل من الأخزاق. وفوق هذه الطاقة أو الشباك الزجاج الملون أو لوح من الرخام شديد الصفا يكاد من صفائه كالزجاج رقيقاً شفافاً. ويسمي أهل اليمن الرخام: القمرية لأن ضوء القمر بالليل يدخل الى المكان بسبب صفاء هذا الرخام وهو أمتن من الزجاح وأجمل، وهو معدن يوجد بجبل الغراس في الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ثلاث ساعات. وأكثر البيوت في أعلى الطبقات يبنون غرف جميلة مربعة الشكل تنظر من نوافذها أكثر الجهات الى البرية والجبال، وتسمى الغرفة بالمنظر بفتح الميم وسكون النون وفتح الظاء المعجمة وناس يسميها المفرج بفتح الميم، بشرط أن تكون النافذة كبيرة في العرض بعرض بعض جهات المكان بحيث أن الجالسين في المكان يشاهدون البحر والجبال، وإذا كان هذا المكان صغيراً سموه الجرف. وهذا المكان الذي في أعلى البيت يجعلونه لوقت استقبال الزائرين وفي أيام الأعياد والأفراح ويفرشونها بالسجاجيد التي يسميها أهل اليمن المفارش والطنافس. والمساند والوسائد المزركشة والطنافس توضع فوق المساند وهي الوسائد الكبار. وبعض البيوت تجد الوسائد ثلاث طبقات: المساند ثم الوسائد ثم الطنافس ويسمونها البنات أي بنات الوسائد وكل واحدة منها وله لون =

نحــو ستين ذراعــاً ارتفــاعــاً مــربعــات الشكــول[1]، واسعـة المنازل رحيبة الدرج[2] للطالع والنازل، حتى أنه يمكن الفارسان المتعـارضان يـطلعان على خيـولهما الى أعلى الـدار وينـزلان (٧٧ ـ ١) بخيولهما. تحتوي كل دار منها على ايوانات[3] عظيمة وغرف حسينة ومخازين[4] حصينة يكون في كل منزل جملة لهوج واسعة عليها الشيش[5] الهائلة الشارعة في الهوى التي يمكن أن يقعد فيها الجماعة، وقد ثقبت بأثقاب محكمة على طوالع مثلث من الخواتم[6] والرؤوس وغير ذلك، وقد نضد بعضها الى بعض بصفائح الحديد وعلقت[7] بالخطائف[8] بحيث إن شاؤوا فتحوها

= من القماش الملون أو الجوخ أو الحرير المطرز أو المقصب، وفي الأركان الأربعة بعرضها رفوف يوضع فيها الآنية الجميلة التي تستعمل في الأفراح والولائم مثل الاطباق الصيني والبلور والخوافق جمع خافقية على أشكالها، وآنية النحاس الملونة المنقوشة بأشكال هندسية».

(١) الشكول: يعني الأشكال وهو من جموع الشكل. مصدر والشبه والمثل والنظير.

(٢) الدرج: المصعد يكون في وسط المنزل.

(٣) ايوانات: جمع ايوان. الصفة العظيمة كالأزج لفظة فارسية أصلها إوّان بواوين أبدلت أولاهما ياء لسكونها بعد كسرة جمعه ايوانات واواوين.

(٤) جمع مخزان: وهو موضع مخصص في البيت لوضع محتاجات البيت من طعام وأدوات ونحوها.

(٥) جمع شيشة وهو الخشب الذي يكون بأعلى النافذة من الخارج لدفع رذاذ المطر ونحوه.

(٦) سبق وهو عبارة عن حزام من الزينة يكون بأعلى البيت.

(٧) زيادة كتبت بأعلى السطر بخط صغير.

(٨) كذا في الأصل صوابه الخطاطيف كذا قاله في القاموس في جمع خطاف.

وإن شاؤوا أغلقوها، وقد نجموها[(١)] بالنجوم المذهبة والمرصصة[(٢)] وجعلت لها المهازر [(٣)] الشبيهة بنور [(٤)] الورد على تلك اللهوج مصاريع الأبواب العجيبة الصناعة.

وجعل على أعالي الغرف الكوات[(٥)] المدورة والمعقدة والمربعة صفوف بعضها على بعض، قد جعل فيها أنواع جامات البلور الأبيض والأخضر والأحمر والأصفر والأزرق المجلوب من الشامات [(٦)] الى اليمن وقد نضد بعضها الى بعض بالجص وأحكمت بالصناعة.

ثم شيدت هذه الدور من داخلها بالقضاض والجص المخرم نقوشه بأنواع الشكول، ومن خارجها، كذلك شيدت بالجص وأزرت[(٧)] بالقضاض وجعل عليها الأبواب والمقاصير [(٨)] الهائلة

---

(١) نجّموها: صنعوا لها نجوماً أي على شكل نجوم.

(٢) المرصصة: المصنوعة من الرصاص أو على لون الرصاص.

(٣) المهازر: جمع مهزر وهو المقبض الذي يمسك به وهزره في عامية صنعاء بمعنى دفعه أو جذبه إليه، وفي اللغة هزره بالعصا يهزره هزراً ضربه بها على جنبه وظهره ضرباً شديداً والشي غمزه غمزاً شديداً.

(٤) نور الورد: الزهر منه أو الأبيض وأما الأصفر فزهر الواحدة نوره جمعه أنوار.

(٥) الكوات: جمع كوة النافذة والخرق في الحائط.

(٦) بلاد الشام (معروفة) على صيغة الجمع.

(٧) كذا في الأصل.

(٨) جمع مقصورة، والمقصورة في اللغة الدار الواسعة المحصنة أو هي أصغر من الدار ولا يدخلها إلا صاحبها، ومقصورة الدار حجرة من حجرها وعند المولدين هي حجرة صغيرة مرتفعة.

التي ينفتح من وسط بعضها باب صغير[1]، قد اعتني في عملها على نحو ما ذكر.

ووصف الرازي في تاريخه [2] من الأبواب التي كانت على دور جبانة بني زريق [3] وأبلغ وقد جعل في بعضها الأكشاك[4]

---

(١) يكون وسط المقصورة حسب تخطيط مسبق.

(٢) الرازي وفيه: حدثني بعض أهل صنعاء عن أبيه أن أباه أخبره أنه قال: كانت جبانة صنعاء بباب واحد وكانت الدور شارعة عن يمين وعن شمال وباسقة في الهواء عليها مساكن وغرف عالية من أبهى العمارة وأحسنها صنعة، وكانت أجمل منازل صنعاء، وكانت مساكن ولاة من يرد من العراق وحاشيتهم ومن يتقدم مع أولئك الولاة مع من كان يسكنها من التجار والأغنياء وأهل الثروة واليسار. فكان إذا كان يوم الأضحى أو الفطر أمروا عبيدهم واماءهم فكنس كل رجل منهم ساحة باب داره ورشوها بالماء فيصير الموضع كله نظيفاً مرشوشاً بالماء، ويبسطون حصر السامان ويجعلون على كل باب وفنائه تلك الحصر المعروفة بحصر السامان والزلالي الرومي والطرطوسي والأرمني من الأحمر وغيره من الأرجوان، ويطرحون الريحان وغيره من الأزهار الطيبة والأنوار العبقة ويرشونها بالماورد الكثير والكافور ويجعلون المقاطر الصفر الكبيرة بين تلك الأفنية ويطرحون عليها من العود الرطب وغيره من الند المتغالي في ثمنه وصنعته فيبخرون الموضع كله مع المصلى من صلاة الفجر الى انصراف الامام والناس من صلاة العيد. ويجعلون على كل باب من تلك الأبواب كيزان الماء الجدد قد برد ليشرب الناس. وكان ظل المصلى والجبانة ظلاً ممدوداً من تلك الدور الشارعة من يمين وشمال من علو سمكها وارتفاع بنياتها. . وكانت تسمى جبانة بني جريش يعني جريش بن غزوان فيقال إنهم كانوا من أهل خراسان وكانوا أغنياء».

(٣) تاريخ صنعاء «بني جريش».

(٤) الكشك: شبه رواق بارز عن مساواة بقية البيت واللفظة فارسية. قلت: =

والروشانات[1] المخرجة في الهواء المتفتحة من كل جهة، التي عليها الطوائق[2] الرومية المتفتحة الى خارجها، وداخلها الزجاجات الكبار التي هي كالأبواب، وقد خط لها في الصروف[3] التي تحيط بها وعلقت في خطاطيف تنفتح وتنغلق الى داخلها، فإذا مودّة[4] القاعد فتح الرومية وأبقى أبواب الزجاج مغلقاً، فيرى جميع ما قبله من الأناسي وغيرها[5] وهو محجوب عنهم وعن كل ما يؤذيه من ريح وغيرها.

وعلى الجملة انها إذا اتصلت الشمس بهذه الغرف والايوانات حكى فيها شعاع متلون ألوان «ريش»[6] الطواويس وألوان قوس قزح، ثم على أعالي هذه الدور الشرفات الكبيرة الحسينة[7] الشكول المجصصة، وقد فرشت عريص[8] هذه الدور بالحجارة المنجورة المنسكبة المناكحة حتى صارت كالصرح الممرد، وكذلك درجاتها التي يصعد فيها الى رأسه، وستر حولي ذلك

= الكشك أيضاً عند أهل اليمن مكان محوط بأعواد يكون داخل الغرفة الكبيرة.

(١) الروشانات: مفرد روشن فارسية بمعنى كوّة وهي هنا الكوة المخرجة من البيت.

(٢) كذا في الأصل أراد به جمع طاقة وهي النافذة من المنزل.

(٣) الصروف: القطع الكبيرة من الخشب مفردها صرفة.

(٤) اي فاذا كان القاعد يودُّ فتح الرومية.

(٥) كذا.

(٦) زيادة من عندنا.

(٧) الحسنة أي الجميلة.

(٨) عريص: جمع عامي لعرصة، وهي ساحة الدار وهي البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء قيل سميت به لأن الصبيان يعرصون فيها. جمعها عراص وأعراص المتزاوجة المتداخلة بعضها ببعض.

بالقضاضات المنقوشة والجص مع سقوفها فيبقى البيت كأنه جوف البيضة وكالأحقاق[1] المخروطة، فإذا قرع في بابه بمقرعة سمع للبيت دوي هائل من داخله لتجاوب الصدى.

فهذه صفة دور الملوك وأعوانهم وأتباعهم، ويتبع بها دور الأغنياء والتجار، ويتبع بها «٧٧ ـ ب» دور من يليهم ثم من يليهم ثم دور أهل الصناعات ثم دور الزراع، ثم دور المساكين. إلا أن بعض دور المساكين فمن فوقهم قد يكون بناها بالحجارة غير المنجورة من أسفلها[2]، وأعلاها باللبن الذي لم يطبخ وبعضها بالزابو ـ[3] ولكن لهم صناعات في عمل الجميع.

وأما تشييد الجص والقضاض والرخام فيستوي في ذلك دور الجميع لكثرة وجود الجص والنورة والرخام، بحيث أن الرخام[4] الصافي الذي كان يذكره شعراء حمير[5] قد صاروا في زمانا حق

(١) الأحقاق: جمع الحقة، وعاء من خشب للطيب ونحوه.

(٢) الأصل: الغير منجورة.

(٣) الزابور: التراب يبل بالماء ويوضع على غير هيئة معينة بخلاف اللبن وهو قوالب الطين.

(٤) علق بهامش المخطوطة: قال بعض من وصفها ان الانسان اذا أسبل الستر والسجف وأطبق الأبواب لا يتغير ضياء المنزل وأجل الرخام الذي يكون في الجدران، بل اذا كان في الجدار رخامة صافية نظر غوم الطائر بظله اذا حاذاها ويودي الى الرخامة لمعان الشمس الى القصة بجوهرها وير تقريباً، وقال بعض من دخل صنعاء من العراقيين من العجب أن بيت صنعاء فضة بدينارين وأطنب في وصف قصها وانه لا يكاد يوجد في غيرها.

(٥) منهم علقمة بن ذي جدن يقول:

هذاك غمدان محزئلا بناؤه العجب العجيب
اعلاه مبهبمة رخام عال واسفله جروب (الاكليل ٨: ٥٤).

المتوسطين فمن دونهم، أو من يريد يجعل الكوة كالأبواب الكبار، الذي لا يمكن أن يجعل عليها جامات البلور فقد يستعمله الأكابر وإلا فقد مالوا الى البلور ونحوه.

هذا وأما البؤر فالأغلب إنما ثم دار من الدور الكبار والصغار إلا وفيها بئر واحدة أو اثنتين أو ثلاث، ينزع الماء منها الى داخل مطابخ البيوت ونحوها وأكثر مائها عذب.

فهذه صفات دور صنعاء ودور المخارف التي تحيط بصنعاء إذ يضاهي دور صنعاء كبارها كبارها وأوساطها أوساطها وصغارها صغارها بل وأحسن، والأغلب أن كل سنة يشيد أجمعها بالجص وعمرة اليد فتبقى صنعاء بأجمعها مشرقة الأنوار ضاحكة الأشفار[1]. نعم: هذا وان في صنعاء خانات[2] كثيرات نحو الثلاثين الخان كلها محدثات في بيوت الأغراب ومحل الامانات، بنيانها أبلغ من بنيان دور الملوك تحتوي على جملة غرف ومخازين وفيها الاكشاك والرواشين الشارعة في الهواء المطلة على الأسواق، وفيها المرافق والمطاهير، وفيها وفي أسواقها الخبازين الذين يعملون ألوان المعايش ويطبخون ألوان الطبايخ فيغتبط فيها الغريب الموسر ويرتفق فيها المقل المعسر. وعلى الجملة انه يجد فيها الغريب من ألوان المعايش والطبايخ الشهية ما لا يجده صاحب الأهلية، بحيث أنه إذا بغت صاحب صنعاء الضيف الذي يستحي منه وهو على غير أهبة ضيافته، أرسل لجميع ما يريد من أنواع

---

(١) كذا وفي كلام أهل صنعاء وغيرهم يطلق على الشفة من الانسان المشفر قال في القاموس: المشفر من البعير كالشفة من الانسان جمعه مشافر وقد يستعمل للخيل والناس.

(٢) يطلق عليها أهل صنعاء «السماسر»

الطعام وأنواع المطابخ من الأسواق، فيأتي بسرعة لتقارب الدور من الأسواق فيمد له سفرة فيها كل ما يعتني به مع حسن الآنية من الصحاف المنجورة[1] من حجارة الحرض[2] وغيرها، وكذلك الغرباء يكون هذا حالهم خصوصاً في شهر رمضان، فإنه يؤهب الصناع جميع ما يشتاق إليه الصائم حتى من خوافق[3] الحلبة[4] المخللة والخردل وبقول السلطة[5] والبالوزة[6]

---

(١) الصحاف المنجورة أي المنجورة من الخشب وكانت أغلب الآنية في ذلك الوقت من هذه المادة.

(٢) الحرض: آنية من حجارة خاصة تعرض على النار فلا تتأثر بها.

(٣) خوافق: جمع خافقية. غضارة تستعمل للطعام والكلمة مولدة.

(٤) الحلبة: مادة الطعام في اليمن والادام الرئيسي لسائر الأطعمة، وقد وصف صناعتها في هذا القرن «القرن الثاني عشر زمن مؤلف الكتاب» الطبيب اليمني أحمد بن عبدالله الواقدي الحارثي في كتابه «نور الأبصار» فقال: «الحلبة مشهورة في صنعاء وجوارها خصوصاً كوكبان معتمدة صباحاً ومساءاً على الأطعمة، واشتهرت وشاعت بأرضنا ولهم فيها اليد الطولى حتى ألفتها النفس ويختلف احضارها باختلاف الصنعة، فمنهم من يجعل على الحبوب الماء مرتين أو ثلاثاً حتى تزول عنها المرارة وتجفف وتطحن طحناً جيداً وتذر على الماء، وتضرب حتى تظهر اللعابية منها فتسقى قليلاً بالماء وتجعل على الطعام بعد غليها ساذجاً من غير أباريز، وتجعل على السمن ان امكن. انظر كتابنا الأدب اليمني عصر خروج الأتراك من اليمن ٤٣.

(٥) السلطة: طعام يعمل من الخضر المقطعة مبتلاً بالخل والملح واللفظة افرنجية ومعناها. مملحة «محيط المحيط: ٤٢».

(٦) البالوزة: محرفة عن الفالوذة أو الفالوذ. حلوى تعمل من الدقيق والماء والعسل وهي أطيب الحلاوات عند العرب ومنه قول بعضهم: ـ أمير يأكل الفالوذ سراً ويطعم ضيفه خبز الشعير ـ ويقال له الفالوذق والفالودج بالدال المهملة وهو مأخوذ من فالوذة الفارسية. وفي المعجم الذهبي ٤٢٣ =

والشربة[1] وغير ذلك.

ويوجد فيها (٧٨ ـ ١) جميع الحلويات المتنوعة والمشروبات. وأما العقاقير التي يطلبها الحكماء والمربيات والمستقطرات فما يكاد يغيب عند الصيادلة منها شيء بحيث ولو يريد الحكيم المائة والمائتين العقار وجدت، وأما نوع البزورات[2] والجوارشيات[3] فأيسر شيء. وعلى الجملة ان في صنعاء ما تشتهيه الأنفس في الدنيا وتلذ الأعين فيها لأصحاب الأموال، فإنه لو يريد الغريب صاحب المال أن لا يبيت يومه إلا وقد شرى داراً وفراشها وآنيتها وجوارها وخدمها وما يحتاج إليه، وهو سخي النفس لأمكنه ذلك، بل ويأخذ مخرف وضياع[4]، وأما في وعده[5] فقطعاً انه يتمكن من دون مبالغة، ثم يجلب الى صنعاء أنواع الصيني[6] والبلور الصافي

= فالودج معرب بالودك نوع من الحلوى الفارسية المركبة من طحين وسكر وليمون، عربها العرب الى فالوذج وعند أهل اليمن هي عبارة عن نشاء وماء مع اباريز عن الأستاذ احمد بن محمد الشامي.

(١) الشربة: بضم الشين وسكون الراء هو جريش البر بعد غليه بالماء.

(٢) البزورات: كأنه جمع البزر وهو ما يطيب الغذاء جمعه أبزار وأبازير قيل الابزار تستعمل في الأشياء الرطبة واليابسة والتوابل في اليابسة، والبزر كل حب يبذر للنبات الواحدة بزره جمعه بزور، وفي دمشق سوق البزوريين «انظر مجتمع دمشق ١٠٦».

(٣) الجوارشيات: وهي الجوارش أيضاً عند الأطباء نوع من الأدوية يستفه المريض والفرق بينه وبين المعجون أن المعجون يكون مراً وحلواً وطيباً ومنتناً والجوارش لا يكون إلا غذياً طيب الرائحة. معرب كوارش بالفارسية ومعناه الهاضم للطعام.

(٤) مخرف: مكان يخترف فيه وهو موضع النزهة والاصطياف.

(٥) وعده: هنا بمعنى أسبوعه أي اليوم الآتي من اليوم المعين.

(٦) الصيني: نوع من الزجاج متين كأنه منسوب الى الصين وفي بلوغ المرام

والزجاج وأمثال ذلك شيء واسع.

وأما الفراشات والقماشات والبضائع والنحاس والحديد فشيء كثير. هذا وأما أسواقها، فإن فيها ما ينيف على خمسين ستين سوقاً[1]

= ٤٢٩ الصيني في اليمن هو ما يسميه أهل العراق الكاشي وأهل الشام القاشاني (قلت: هو الزجاج).

(١) في قانون صنعاء جملة من أسواق صنعاء المخصصة لبيع بضائع معينة وقد ذكرها بأسمائها منها: ١ ـ سوق البز (قانون صنعاء ١٩) ترد اليه انواع البز منها البز الزبيدي والبز الحضرمي قال وبيع البز لا يكون الا بالذراع المطبوع باسم امير المؤمنين، وعلى أهل سوق البز الحراسة عند احتياج المدينة الى حراس يسلمون اجرة الحرس المعتادين عليهم، وعلقهم الجرم «ملابس الحرس» المفروق للحرس في السنة بنظر شيخ الشرطة. ٢ ـ سوق الفضة (قانون صنعاء ٢٠) ٣ ـ سوق المعطارة (قانون ٢٢) ٤ ـ سوق الحرير (قانون ٢٣) ٥ ـ سوق الحلقة (قانون ٢٣) ٦ ـ سوق السمن والسليط. لا يكون الوزن الا بالوزنات المطبوعة ولا يوزن الا في ميزان الدولة ٧ ـ سوق القشر. البخ بالماء ممنوع والوزن بالوزنات المطبوعة (قانون ٢٣) ٨ ـ سوق التنباق. الوزن بالوزنات المطبوعة بالطابع الامامي وعليهم من الحراسة ما يعتادونه. ٩ ـ سوق التتن الأسود (قانون ٢٤) ١٠ ـ سوق السلب. على الشيخ ضبط اهل السوق لتسليم مال الغريب على القاعدة وعليهم الحراسة. وبيعه وزنا مئة والثمن فيه على الشيخ المعهد في السوق ١١ ـ سوق الحب. يكون فيه عشرة أنفار كيالين امناء مختارين معروفين بالأمانة وعدم الخيانة ويتبعو الكيالة المعتادة على القدح ثمن الثمن من البائع ونصف ثمن الثمن من المشتري (قانون ٢٥) ـ سوق الملح. عليهم الحراسة والتحري في الكيل لجلاب ولد السوق (قانون ٢٦) ١٣ ـ سوق الزبيب (قانون ٢٦) ١٤ ـ سوق الحنا (قانون ٢٦) ١٥ ـ سوق القات (قانون ٢٧) ١٦ ـ سوق العنب وما إليه من الفواكه ـ بيتاع بما سعره شيخ السوق. ١٧ ـ سوق الغنم والمجزرة (قانون ٢٨) ١٨ ـ سوق =

«كـــل ســوق»[1] تحتــوي على جملة دكــاكــاين مخصصــة، عليها الأبواب العجيبة المتفتحة المعلقة في الخطاطيف التي تنكسر عن أنصافها بزفافير[2] الحديد والمهازر والنجوم[3] والمغالق[4] عليها والأقفال مع تقاربها لضيق عرصاتها، فـإنه قـد لا يكون الحانوت مساحته ذراعين في العرض وأربعة في الطول لحظائها[5]

= الحطب. عليهم من الحراسة المجراية المعتادة ومن الحـراسة عنـد الاحتجاج بالأبواب والخنادق ما يلزم حمالين سوق الحب وعليهم من جرم الحرس قرش وربع (قانون ٢٨) ١٩ ـ سوق البقر والبهائم (قانون ٢٩) ٢٠ ـ سوق الجمال (قانون ٢٩) ٢١ ـ سوق الخيل والبغال (قانون ٣٠) ٢٢ ـ سوق العلف (قانون ٣٠) ٢٣ ـ سوق الصباغين والقصابين (قانون ٣١) ٢٤ ـ سوق المعادن (قانون ٣١) ٢٥ ـ سـوق الخياطين والخطاطين والحوك (قانون ٣١) ٢٦ ـ السراجون (قـانون ٣٢) ٢٧ ـ الخبازون (قانون ٣٢) ٢٨ ـ الفرانـون والمداققـة (قانـون ٣٢) ٢٩ ـ السماسرة (قانون ٣٣) ٣٠ ـ سوق المحدادة (قانون ٣٣) ٣١ ـ البيطريون (قانون ٣٣) ٣٢ ـ سوق المنجارة (قانون ٣٤) ٣٣ ـ سوق النحاس (قانون ٣٥) ٣٤ ـ سوق المنقالة والاسكافية (قانون ٣٥) ٣٥ ـ العمارون (قانون ٣٥) ٣٦ ـ المملجون (قانون ٣٦) ٣٧ ـ المجصصون (قانون ٣٦) ٣٨ ـ المقضضون (قانون ٣٧) ٣٩ ـ الحلاقون (قانون ٣٧) ٤٠ ـ الندافون (قانون ٣٧) ٤١ ـ المدارون (قانون ٣٨).

(١) الحق بهامش المخطوطة.

(٢) زفاير: قال في المحيط ٢٧٣، الزفر في صناعة البنائين حجر أو خشب بارز عن الحائط ليعلق عليه قنطرة أو كشك ونحو ذلك وفضله من السقف خارجه عن حيطانه لترد المطر والثلج عنها والزفائر هنا كأنها الحديد الذي يربط أعمدة الشباك المخصص للنوافذ.

(٣) النجوم: سبق.

(٤) المغالق: جمع مغلق وهي القفل في عرف غيرهم.

(٥) الحظا في عرف اهل صنعاء الحظوة. المكانة والمنزلة عند الآخرين.

مع أن كراء الحانوت في كل شهر قد يبلغ الى القرشين[١] الريالين[٢] والى الثلاثة.

وعلى الجملة أنه لا يوجد أدنى محل ولو في أسافل البيوت إلا وله كراء في الأسواق وغيرها أيسر كراء. أضعف منزل من حق المساكين ربع قرش ريال، والدور كذلك. وقد يتناهى كراؤها في الشهر الى ثلاثة أربعة قروش وقرشين وقرش ونصف قرش. ولا يوجد في صنعاء في عصرنا خراب أبداً بل البناء يتزايد بحيث إنا قد شاهدنا أنها تبتاع سطوح بعض الدور والمنازل، وقد تبلغ اللِبْنَة من العرصة، واللبنة عبارة عن عشرة أذرع طول ومثلها عرض ـ بالخمسين القرش الريال للبناء فيها، وقد ينقص عن ذلك الى الأربعين والثلاثين والعشرين والعشرة القروش بالمواضع التي لا يرغب فيها. وقد يبلغ الدكان في سوق البز[٣] ونحوه الذي مساحته

---

(١) القرش في عرف اهل اليمن هو الريال الفرانصي. قال في قانون صنعاء صرف القرش الفرانصي حرفان وصرف القرش ثمانين بقشة في هذا الأوان «يعني القرن الثاني عشر زمن مؤلف هذا الكتاب».

(٢) الريالين مثنى ريال. قال العلامة المازندراني: الريال اسم شايع في جميع بلاد الشرق الأدنى وأول من أجراه في السوق والتجارة الأسبانيون واسمه عندهم REAL ومعناه الملكي، وهو أنواع شاع منه في اليمن الريال النمساوي المعروف بأبي شوشة أو ماريه تريزا وفي اليمن أيضاً الريال الامامي وهو مطبوع في صنعاء (تاريخ النقود العربية: ١٣٧).

(٣) قلت: كان هذا الموضع هو أنفس بقعة في صنعاء من حيث التجارة والبيع والشراء، ويقابل هذا في عصرنا الآن شارع علي عبد الغني وشارع جمال من صنعاء. وقد بلغت أثمان الدكاكين فيهما الملايين من الريالات والله أعلم.

ذراعين وأربعة طولاً أو يزيد أو ينقص خمسمائة قرشاً ريالاً[1].

وقد يبلغ ثمن الدار الى عشرة آلاف قرش الى دون ذلك الى الخمس المائة القرش، ودون ذلك في المحلات التي لا يرغب فيها.

(١) القرش الريال كأنه يعني ذلك الريال النمساوي تمييزاً له عن ضربة الإمام.

صنعاء في ليالي رمضان

نعم: هذا واذا كان ليالي شهر رمضان فانها تسرج جميع أسواق المسلمين (٧٨ ـ ب) من أهل المدينة والأغراب الذين هم من الهند كاللوتيا[١]. والذين هم من سائر الأقطار، وأسواق أهل الذمة من اليهود فإن لهم في نفس صنعاء أسواقاً غير أسواق مدينتهم. ثم أسواق البانيان[٢] والرازبوت[٣] وغيرهم، وكذلك أسواق أهل المهر[٤] من الحدادين وغيرهم، ويكون أسراجها في مسارج منحوتة من صافي اخصاص المرمر الذي يحكي لون البلور الصافي في صفائه. يوتى بهذه الحجارة من مواضع مباني[٥] أرض

(١) جماعة في منطقة بالهند.

(٢) البنانيان أو البانان: كلمة هندوسية من بانيان أي تاجر، وفي «عجائب الهند» بيزرك ٢١. البانانية، البحارة الذين يتعاطون التجارة أثناء توقف سفنهم في المواني.

(٣) الرازبوت: هم الراجبوت نسبة الى مقاطعة في شمال غربي الهند هي جزء من ولاية راجهستان.

(٤) يعني أهل الصنائع والحرف.

(٥) كأنه المتبقي من الآثار الحميرية المتخذة من المرمر كالتماثيل وأعمدة المعابد. وكانت كثيرة ومكدسة في مواطنها فلا يحميها أو يصونها في ذلك الوقت أحد من الناس.

سبأ وحمير وباقي مآثرهم من الجوف[1] والاقليس[2]، فعلم أن الحجارة المرمر معادن في اليمن وإنما الموجود فيها معادن الرخام الملون بكل لون أبيض وأحمر عقيقي وأزرق وأصفر. قلت: واخبرني بعض المخبرين حال الرقم أن معادن المرمر موجودة في بعض معادن الرخام وأن المأخوذ هو منها والله أعلم.

نعم: فإذا أسرجت صارت عرصات[3] الأسواق كأنها النهار المشرق في الليالي المغسقة[4]. ثم يجعل في أبواب هذه الحوانيت أكواز الغضار العفصي[5] المعجون تربها[6] بماء السفرجل والتفاح، وقد املئت من الماء الباشوي الينعي الذي قد وصفه من تقدمنا في تواريخهم[7]، وقد جعل عليها القوارات[8] المطرزة بأنواع الحرير والذهب، فلا يمنع من شربها طالب الماء،

---

(١) الجوف: مدينة كبيرة بالشرق الشمالي من صنعاء بمسافة كيلومتر بها مركز محافظة الجوف وتقوم بين جبلين على وادي الجوف الذي يعد من أغنى المناطق اليمنية بالآثار وأعظمها خصباً وأوسعها أرضاً «المقحفي ١٣٥».

(٢) الاقليس: لم أجده ولعله القليس.

(٣) عرصات: ساحات.

(٤) اللفظة في الأصل بدون نقط.

(٥) كذا في الأصل لعله منسوب الى العفص وهو العفاص غلاف القارورة والجلد يغطى بها، والعفص جوز مستدير يكون على البلوط والعفص دواء قابض مجفف، قال في القاموس: والعفص ما له طعم العفص أو لونه.

(٦) الضمير في تربها يعود الى الغضار، والغضار سبق شرحه.

(٧) انظر ما جاء في وصف هذا الماء في تاريخ صنعاء للرازي (ص ١٤٤ ـ ٤٥) وقد نقلنا منه نبذة في أحد الهوامش.

(٨) القوارات هنا جمع قوارة ما قور من الثوب وغيره.

وثم غيرها من قبب[١] السبل المعدة للماء العذب قد غسلت وبخرت.

ويجتمعون[٢] رفقاء للسمر والتحدث في أبواب تلك الحوانيت، وقد يكون بعضها متسعاً فيتسمرون فيها ويدار بينهم أغصان القيتان[٣] ويصعدون المصطكا[٤] فما فوقه من أنواع العود الرطب ونحوه والأطياب، فيكون جميع ليالي شهر رمضان كليالي الاعرسات[٥]. وقد يكون بعض هذا في بعض ليالي غير رمضان لكن لا يستمر طول الليل بل الثلث الأول من الليل وهو دون ذلك، وإنما يكون كذلك[٦] في نهار أيام الفطر.

---

(١) هي التي تسمى في بعض بلدان اليمن بالسقايات وهي عبارة عن أحواض مغطاة ببناء يشبه القبة يمنع عنها ذرق الطير يشرب منها الناس وسائر المارة.

(٢) كذا في الأصل على لغة أكلوني البراغيث.

(٣) القيتان: هنا أراد به جمع قات وهو في نفسه اسم جمع لهذا النوع من النبات، وقد شغف به أهل اليمن منذ القرن العاشر، وهو عبارة عن شجيرات خضراء ذات أغصان رقيقة تقتطف رزمة منها ثم توضع في الفم ويمص منها الرحيق حتى تذبل وتجف فيلفظها صاحبها.

(٤) المصطكا بالمد والمصطكى بالقصر والقصر أكثر، قال ابن خالويه يشدد فيقصر ويخفف فيمد وحكى ابن الانباري فتح الميم والتخفيف والمد وحكى ابن الجواليقي ذلك لكنه قال والقصر، وكذلك الفارابي لكنه مصتكى بالتاء والميم أصلية في كل حال. شجر في السباطة ولطف العود والورق كشجر الاراك له ثمر الى المرارة وصمغ يستخرج منه يعلك، وهو نوعان رومي أبيض ناعم طيب الرائحة فيه لدونه حلو وقبطي الى السواد والمرارة يسحق ويسمى العلك. معرب مصطخاً بالرومية (محيط ٨٥٣).

(٥) أراد به جمع عرس وفي القاموس يجمع عرس على أعراس وعرسات.

(٦) يعني يكون أكثر النهار.

مساجد صنعاء في رمضان

هذا وأما المساجد في أيام رمضان خصوصاً المسجد الجامع بصنعاء، والمسجد الجامع الأحمدي بالروضة، فلا يكاد يغلق، وقد أسرجت بأنواع ما يسرج به من القناديل الحلبية[١] المتنوعة وبسرج[٢] المرمر والحرض والشماع شيء كثير يتنازعون[٣] حولها القرآن العظيم والسنة النبوية والعلوم. وعلى الجملة انها تكون رياضاً من رياض الجنة.

ومع هذا إن غالب أهل الدور والأسواق لا يفارقون صلاة الجماعة في كل وقت، ولو تكون حاجتهم كيفما كانت فانهم يحضرون الجماعة ويفرغون[٤] لصلاة الصبح حتى انها تضيق بهم المساجد بأجمعها على كثرتها ووسعتها «٧٩ ـ ١». وليس يريد[٥]

(١) نسبة الى حلب المدينة المعروفة بالشام وكانت قد عرفت بصناعة الرخام.

(٢) سراج المرمر «المصنوع من حجر المرمر» وسراج الحرض المصنوع من الحجر الصلب عبارة عن قطعة حجر مثلثة الشكل المحفور داخلها حفرة يوضع فيها الزيت ثم يوصل بخيط من القطن كالفتيلة يشعل طرفها فتبقى مشتعلة.

(٣) يتنازعون يعني يتدارسون القرآن، وفي اللغة يقال نازعه الثوب. جاذبه ويقال تنازعوا الشيء تجاذبوه.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) كذا في الأصل.

الانسان الجماعة[1] في أي وقت من أوقات الصلوات الخمس الموسعة الأوقات[2] إلا وجد اماماً يصلي جماعة حتى أوقات الاضطرار[3]. بحيث أن أهل الأشغال والكد وكل من هو من أهل الاعذار[4] الذين أباح لهم الشرع جمع الصلاتين تقديماً أو تأخيراً، وأراد أن يصلي ذلك في جماعة وجد الجماعة للمعذورين.

وكذلك تكون هذه الصفات في مساجد [المخارف المحيطة بصنعاء على جميع ما وصفنا فسبحان من فضل أهل هذه المدينة بأن جمع لهم بين][5] الدين والدنيا.

نظافة صنعاء[6]

هذا وأما نظافة هذه المدينة بأجملها فأمر يقصر عنه لسان الواصف.

حمامات صنعاء[7]

فإن فيها وفي مخارفها نحو عشرين حماماً[8] مجددة البنيان

---

(١) يعني صلاة الجماعة.

(٢) أي يكون بينها أوقات متسعة كصلاة الظهر والعصر وصلاة العشاء والصبح.

(٣) أي الأوقات التي ضرب للمضطر يصلي فيها بعد انتهاء الوقت المشروع فيها صلاته. انظر في ذلك «شرح الأزهار ١ ـ ١٠٨».

(٤) يعني أهل الأعذار المانعة لأداء الصلاة في وقتها المضروب لها كالمسافر والمريض وغيرهما.

(٥) زيادة من هامش المخطوطة.

(٦) زيادة من عندنا.

(٧) زيادة من عندنا.

(٨) من هذه الحمامات ما ذكره صاحب «حدائق النمام فيما يتعلق بالحمام» =

. . . .

= للأديب العلامة احمد بن محمد الحيمي المتوفي سنة ١١٥١ «بتحقيقنا» وهي :

١ ـ حمام الجلا «حدائق ٥٦» وفيه يقول العلامة محمد بن اسماعيل الامير:

دخلت حمام به كل زحام وامتلا
صدع راسي فلذا سمي بحمام «الجلا»

٢ ـ حمام الحميدي يقع جنوبي مسجد الحميدي وغربي مسجد موسى وشمال باب اليمن «حدائق ٤٦».

٣ ـ حمام سبأ قال وهو حمام مشهور معروف من حمامات مدينة صنعاء اليمن وفيه يقول الأديب زيد بن يحيى :

لله حمام له منة علي قد نلت بها المطلبا
اصبحت مهموماً لبرد الشتاء ففرقت همي ايدي «سبا»

٤ ـ حمام السوق «حدائق ٤٥» يقع في سوق البقر جنوبي مسجد محمود.

٥ ـ حمام شكر وهو شرقي مجرى السيل ومسجد قبة المهدي وفيه يقول الأديب الحيمي :

قد دخلنا حمام شكر فملنا لنعيم حواه من فرط سكر
فشكرناه بالذي كان منه ولهذا يقال «حمام شكر»

٦ ـ حمام الطواشي يقع شمال مسجد عقيل وجنوبي مسجد الطواشي عمره هو والمسجد سلطان الهند سنة ١٠٢٨ وفيه يقول الحيمي واصفاً مغطسه :

ان المغطس قد راق بحمام طواشي
فلكم كف من الآلام جما وطوى شي

٧ ـ حمام الميدان يقول: من حمامات صنعاء المحمية وهو قريب من القصر السعيد «حدائق ٤٥» وغير ذلك من الحمامات التي استحدثت فيما بعد.

حسنة المخالع[١] والخزائن[٢] مرتفعة القبب مفيئة الجامات كثيرة الماء واسعة المغاطس والأحواض نظيفة العرصات، يتداولها الرجال أوقاتاً والنساء أوقاتاً فيحتاج الى ما يوقد فيها، فقد أعدوا لذلك خدماً يطلبون ما يجدونه مما يخرج من فضلات الناس والكلاب ونحوها، وما يجدونه من عظمان[٣] الميتات وغيرها فلا يبقون من ذلك شيئاً، بحيث أن الانسان لا يجد رائحة خبيثة من قبل ذلك ولا يرى ما يكرهه منها. ومن أسباب النظافة أن الفلاحين الذين يحرثون الأراضي للزرع والغروس يطلبون ما يجدونه في الحشوش التي في أسفال[٤] البيوت التي عليها المستراحات[٥] فيدخلون إليها فيأخذون ما يجدونه فيها من الفضلات والرماد ونحو ذلك. ولا تنجب زروعهم الا بذلك. ثم يجمعونه طول السنة خارج المدينة في محلات يعدونه فيها الى وقت حاجته.

ومن أسباب ذلك أن كثيراً من اليهود يقصدون لما يجمعه الرائح[٦] ونحوها مما يتساقط من أعلاف الناس وخشاشهم[٧] ونحو

---

(١) المخالع: مفرده مخلع ويسمى أيضاً المسلخ وهو الموضع الذي تخلع فيه الثياب «حدائق النمام ٢٨».

(٢) الخزائن: مفردها خزانة وهي مواضع يدخلها المتحمم تختلف درجاتها في الحرارة.

(٣) كذا في الأصل أراده جمع عظم. وفي القاموس يجمع عظم على أعظم وعظام وعظامة.

(٤) اسفال: كذا اراده جمع سفل والصواب في جمعه اسافل.

(٥) المستراحات: جمع مستراح وهو بيت الخلاء.

(٦) كذا في الأصل.

(٧) اللفظة في الأصل بدون نقط والخشاش. حشرات الأرض والعصافير =

ذلك، فيبكرون له فيكنسونه ويأخذونه ليحرقون به ما لطف من أعمال المدر[1] ولا يصلح الا بها. فلا يجد الانسان في شوارع صنعاء ولا خارجها شيئاً مما يعاف لهذه الأسباب هذا «وهذا»[2].

وأما ما فضل من الأرماد[3] الذي لا يرى اليه الزراع وما فضل من نخالات الطين بعد البنيان وكسر الياجور والحجارة فتحمله المتاربة[4] الذين يدخلون التراب من البراري على بهائمهم ويجعل لهم من الاجرة على كل حمل شيء يسير على الحمل انه قد يحمل الثلاث المائة الحمل بقرش واحد.

نعم وأما ارماد الحمامات فإنهم يبيعونه بالثمن ويقصد له من يريد العمل بالقطر[5]، لأنهم يخلطونه بالنورة فيعتقد فيبنون به أوعية الماء التي تبنى بالقطر ولا «٧٩ - ب» يصلح الا به.

هذا ومن أسباب نظافة صنعاء أن أرواث الخيل والحمر والجمال والبقر والغنم لا يمكن أن ينحط الى الأرض الا وقد قصد

= ونحوها منه الحديث ان امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلا أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض.

(١) المدر: الآنية من الفخار.

(٢) كلمة مقحمة في الأصل ولا معنى لها.

(٣) كذا جمع الرماد عند المؤلف وفي اللسان ٣: ١٨٥ يجمع الرماد على ارمدة وأرمداء وإرمداء عن كراع الأخيرة اسم للجمع قال ابن سيده: ولا نظير لإرمداء البتة وقيل الارمداء مثال الأربعاء واحد الرماد ورماد ارمد ورمدد ورمديد.

(٤) المتاربة هم كما شرح المؤلف، وهم الذين يدخلون التراب من البراري بقصد البناء ونحوه.

(٥) المادة التي يصنع بها القضاض، سبق.

له غلمان ووليدات من أولاد المساكين يأخذونه ليتخذوه وقيداً لمعايشهم[1].

ومن أسبابها أن المدر والياجور لا يصلح الا إذا خلط فيه السرجين[2] فيبالغون في شرائه من سواس الخيل وغيرهم، فيبالغون في جمعه ويكنسون ما يجدونه منه في الاصطبلات والأحواش[3] ونحو ذلك حتى انهم ليبيعوه وبعضه تراب.

فهذه الأسباب ونحوها هي التي لأجلها نظفت صنعاء من جميع القذارات.

مخارف «نزه» صنعاء

هذا وأما صفة مخارف صنعاء وجناتها فاليها يساق الحديث فإنها قد أحاطت بثلاث من جهات المدينة[4]، من اليمن[5] والغرب والقبلة[6]، حتى صارت المخارف والبساتين وما فيها من الدور والأسواق والخانات والحمامات مدناً كبار معمورة، وقد

(١) وذلك بعد أن يخلط بعضه بعضاً ويجمع مع أعواد القصب وغيره ثم يجفف ويشكل على هيئة أقراص كبيرة وهو الذي يسمى بالكبا قال في القاموس: الكبا والكبى الكناسة وجمعه اكباء قال: والكبا بكسر الكاف البخور أو ضرب منه.

(٢) السرجين: الزبل معرب سركين بالفارسية ويقال سرقين بالقاف.

(٣) الاحواش: جمع حوش وهو ما حول الدار ويشبه الحظيرة واللفظة من كلام أهل العراق «محيط».

(٤) يعني مدينة صنعاء.

(٥) يعني من جهة اليمن «جهة الجنوب».

(٦) الجهة القبلية «الجهة الشمالية».

احتوت على جميع أشجار جنات الدنيا التي تثمر من المغروسات، لا أعلم أنه يغيب عنها الا النخيل فإنهم لا يولعون بغرسه[١] في زماننا مع أنه كان من جملة ما يستثمر فيها، وكذلك العنبا[٢] والعناب[٣] والخرنوب[٤] الذي هو من القرنبيط[٥]، فإن هذه

---

(١) قلت: لا تزرع في صنعاء ونواحيها من البلاد الجبلية لأن النخيل لا ينتج الا في البلاد الحارة.

(٢) العنبا ويقال له أيضاً انبه وعَنْب. وجميع هذه الألفاظ من الهندية وذكرت الأنبا والعنبا في المفردات القديمة قال الشهابي: هو الأنبج يسمى اليوم منجا وقد شاعت اللفظة وهي من الفرنسية. قلت العنبا عندنا هو غير المانجو فالأول هو عبارة عن ثمرة تشبه البطيخة رخوة الملمس تضم أحشاؤها بذوراً كثيرة والأخيرة صغيرة الحجم يحوي باطنها على نواة واحدة كبيرة والله أعلم. وفي معجم أسماء النبات العنب «عند أهل اليمن» هو أنبه «عند أهل الهند» وانبا وعنباء وامب وانب لفظة سنسكريتية وانبج «انظر معجم أسماء النبات ١١٤» وفي المعتمد للملك المظفر الرسولي ٢٣٧ عنبا: هي نبات هندي لا يكون بغير الهند والصين وشجره شبيهة بشجر الجوز وله ثمر يشبه ثمر المقل الأندلسي.

(٣) العناب: شجر مثمر من الفصيلة السدرية له ثمرة نووية حلوة توكل «الشهابي معجم الألفاظ الزراعية ٣٧٢» وانظر العناب في «المعتمد ٣٤٠» «ومفتاح الراحة» ١٩٨، وفي «محيط المحيط» ٦٣٥ «العناب شجر يقارب الزيتون في الارتفاع لكنه شائك جداً. ورقه مزغب من أحد وجهيه وحبه يشبه حب الزيتون في شكله وأجوده النضيج الأحمر الحلو، الواحدة عنابة».

(٤) الخرنوب: شجر مثمر من الفصيلة القرنية ثماره قرون توكل وتعلفها الماشية «معجم الألفاظ الزراعية ١٢٥» والمعتمد ١١٩.

(٥) هو القنبيط واسمه هكذا في مصر والشام والقنبيط لفظة من اليونانية البيزنطية وفي المحيط قال بعض الأئمة وأظنه نبطياً من الفصيلة الصليبية=

الأنواع الأربعة لا يغرس فيها مع جلب أفضل ثمار هذه الأربعة الأصناف اليها جافة.

وقد يصل اليها الرطب والعنبا أخضرين ولو يغرس لصلحت[١] كلها أو بعضها بإذن الله تعالى.

وأما غير ذلك فموجود فيها مع نجابتها النجابة[٢] التي لا تقادر[٣] فإن بعض هذه الأشجار ينتهي حتى يكون كأعظم دوحات الأشجار الكبار، بحيث أنه يقطع منها الأخشاب المهيلة ويتخذ منها الدروف[٤] والمحتاج اليه في صناعة النجارة. وأما الاثالة[٥] المغروسة التي كانت يعتادها الأولون فقد صارت غياضها مظلمة تسكنها الوحوش وتنجب[٦] نجابة عظيمة، حتى قد تساوي شجر

= وفي المعتمد القنبيط هو الكرنب وعند البستاني هو أغلظ أنواع الكرنب وفي معجم اسماء النبات هو اللهانة عند أهل اليمن. كذا انظر «معجم الألفاظ الزراعية ١٥٧، المحيط ٧٥٧، والمعتمد ٤٠٢، ومعجم اسماء النبات ٣٣».

(١) قلت: بعض أنواع هذه الأثمار لا تصلح زراعتها في المناطق الباردة المعتدلة مثل صنعاء وإنما ينضج في البلاد الحارة كثمر العنبا والنخل «الرطب».

(٢) نجبت الشجرة أخذت قشر ساقها. والنجب بالتحريك لحاء الشجرة قبل قشر عروقها «لسان ١: ٧٤٩» وهو هنا بمعنى أنتجت وأثمرت.

(٣) لا يقادر: أي لا يقايس بمقدار.

(٤) الدروف: جمع درفة. أحد مصراعي الباب أو الطاقة، واللفظة مولدة «محيط المحيط ٢٧٧».

(٥) الاثالة: كذا في كلام أهل عصره هي الاثل. شجر معروف «سبق ذكره» قال في محيط المحيط واحدته اثلة وجمعه أثلات وأثول.

(٦) سبق، شرح.

السرو[1] العظام في الارتفاع فأكثر اعتماد أهل هذه المدن في بنيانهم وأعمالهم وعروش أعنابهم عليها.

هذا وأما الأعناب فقد تمد مداً بليغاً حتى تدخل الى صحون[2] الدور، فتغرس عليها ويجعل من عروشها المدارج العظام ويعرش منها مربعات هائلة على أعمدة الخشب على أبواب المفارج والغرف ونحوها.

مفارج صنعاء[3]

تنبيه:

وأما صفة المفارج[4] التي هي الغرف التي اتخذت في زماننا تحت عروش العنب وفي بساتين الشجر فيقصر [٨٠ - ١] الوصف عن نعتها، فقد عمرت معتدلات الشكول[5] مرتفعات عن الأرض نحو القامة[6] مفتحات الجهات الثلاث من الغرب واليمن والشرق،

---

(١) في الأصل السرف وأصلحناه من عندنا قلت: السرو شجر حسن الهيئة قويم الساق وقد فسر به صاحب القاموس «العرعر»، محيط.

(٢) صحون. جمع صحن، وصحن الدار وسطه.

(٣) زيادة من عندنا.

(٤) المفارج سبق وصفها في أحد الهوامش نقلاً عن الواسعي وفي تعاليق «بلوغ المرام» لانستاس ماري الكرملي ٤٣٨ المفرج هو المنظر لكن النافذة فيه كبيرة العرض وتكون بعرض جهات المكان بحيث أن الجالسين في المكان يشاهدون البر والجبال.

(٥) الشكول: الأشكال سبق شرحه.

(٦) يعني قامة الانسان.

وعليها مصاريع [1] الأبواب المعلقة [2] في الخطاطيف التي تكسر اذا شاؤوا بالزفافير [3]، التي قد اعتني في عملها وزينت بأنواع صفايح الحديد والنجوم والمهازر المقببة التي قد مُوّه عليها بالصفر والرصاص الأبيض.

وفوق هذه الأبواب وغيرها الكوات المفتحة فيها جامات البلور الصافي الملون، وقد شيدت بكل تشييد وزينت بكل زينة على أبوابها البرك والفسقيات [4] التي قد وضع في أوساطها وأطرافها الشاذروانات [5] التي ينبع منها الماء حتى يرتفع القامة والقامتين،

---

(١) مصاريع جمع مصراع وهو أحد غلقية الباب وهما مصراعان أيضاً الى اليمين واليسار ينضمان جميعاً عند الاغلاق ويدخل بينهما عند الفتح.

(٢) يعني تلك الأبواب التي تفتح أفقياً وتكون معلقة في الهواء.

(٣) الزفافير: سبق.

(٤) الفسقيات: جمع فسقية وهو حوض الماء الكبير يتخذ أمام المفرج ونحوه واللفظة من اللاتينية.

(٥) الشاذروانات: جمع شاذروان وهي البركة التي تتخذ في الحديقة وهذه الكلمة معروفة أيضاً في العراق من عهد العباسيين والكلمة لا ترى في مظنتها في معاجم اللغة التي بايدينا وإنما ترى في لسان العرب في مادة جذر قال «وفي حديث عائشة سألته عن الجذر قال هو الشاذوران الفارغ من البنا حول الكعبة» وللشاذوران في عهد العباسيين معنيان الأول: ضرب من الطنافس كانت تفرش أو تمد بين يدي الملك. والثاني: الحوض وفي داخله أنبوب يرتفع منه الماء صعداً وأخذه العباسيون لأن هذا الماء يكسر شيئاً من حر الموطن الذي يكون فيه والكلمة فارسية من «شا» «در» «وان» أي «الملك» «باب» «حافظ» على أسلوب إضافة الكلم عندهم والمعنى حافظ دار الملك..

قال القيراطي في شاذوران:

تصل اليها من القساطير[١] التي يمر فيها الماء الآتي من أعالي أساور[٢] الآبار المتخذ فيها مناقض للماء المنتزع من الآبار الى المراجو، فيكون لتلك المياه لعب عجيب لأنه يجعل عليها جوزات النحاس التي لها أنابيب عليها عجلات محكمة يكون لها لعب دوران، فيكون في هذه المفارج نظارة[٣] عجيبة خصوصاً عند أن تكون الشمس فيها فإنها تحكي ألوان البلور والزجاج والشجر ونحو ذلك.

امتحان المؤلف في السجن[٤]

هذا وقد منعنا عن جميع مشاهدة هذه المحاسن بما نحن فيه وأمثالنا من أكابر الأشراف وعظمائهم وعلمائهم من محن السجون التي نسأل الله تعالى الفرج منها والعوض عن لذات الدنيا بنعيم الآخرة بحق محمد وآله.

وسبب هذه المحن والسجون أثرة حصلت ومحبة للدنيا عرضت فرقت جماعة أشراف اليمن، فنال كبراءهم بسببها ما نال وصار غيرهم منهم أكثرهم فقراء يتكفون[٥] الناس وبعضهم مع

= يا حسن شاذوران ماء لم يزل يهدي جواهره الى الاضياف
ما أمه الجلساء يوم سرورهم الا تلقاهم بقلب صافي

انظر بلوغ المرام «تعاليق انستاس الكرملي» ١٥٠ ـ ١٥١.

(١) القساطير: جمع قسطار وهو عند أهل صنعاء الميزاب أو ما يشبهه.

(٢) الاساور: مفرده اسورة سبق شرحه.

(٣) نظارة: كأنه اراد منظراً عجيباً.

(٤) عنوان من عندنا.

(٥) كذا في الأصل صوابه يتكففون أي يسألون الناس.

المتغلبين الأشرار، فقد شملهم قوله تعالى «فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم»[1]، فليس في صنعاء بحمدالله في زماننا جور الا عليهم وأما غيرهم فقد شملهم الأمن والأمان وبر السلطان[2].

[قلت وقد أجاب الله الدعا وفرج عنا بعض كرب الدنيا وامتحاناتها وان عرضت امتحانات أخرى[3] رحمانية يمحو الله بها بعض الذنوب ويبلغ بها الى كل محبوب، فإن مولانا امام عصرنا حفظه الله أفرج عنا وأطلقنا من السجن في آخر ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة وألف والحمدلله رب العالمين ونسأل الله أن يرفع عنا وعن أمثالنا كل محنة وشدة في الدارين بحق محمد وآله][4].

ونسأله الأمان في الدنيا والآخرة فهو حسبي وكفى وصلى الله على سيدنا محمد وآله آمين آمين.

---

(١) سورة محمد الآية «٢٢».

(٢) قلت: كان امام اليمن في ذلك الوقت هو الامام المهدي لدين الله العباس بن الحسين بن القاسم بن محمد بن الحسين بن احمد بن الحسين بن الامام القاسم بن محمد. مولده بمدينة اب سنة ١١٣١ ودعوته بصنعاء في ربيع الأول سنة ١١٦١ وموته بصنعاء في رجب سنة ١١٨٩ وقبره بقبته المشهورة بصنعاء «اتحاف المهتدين ٨٩».

(٣) في الأصل اخرة.

(٤) الحاق بهامش المخطوطة بخط المؤلف.

المراجع

إبن بطوطة، رحلة ابن بطوطة **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. قدّم له وحققه الشيخ محمد عبد المغنم العريان، راجعه وأعدّ فهارسه مصطفى القصاص. بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٧ م.

إبن خرداذبة، أبي القاسم عبدالله بن احمد. **المسالك والممالك**. تحقيق دي غويه. ليدن، المكتبة الجغرافية، ١٨٨٩ م.

إبن رسته، **الأعلاق النفيسة**. ليدن، نشر دي غويه، ١٨٩٣ م.

إبن المجاور، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تأريخ المستبصر**، تصحيح وضبط أوسكر لوفغرين، القسم الثاني. ليدن، بريل، ١٩٥٤ م.

إبن مفتاح، أبو الحسن عبدالله. **كتاب المنتزع المختار من الغيث المدرار المفتّح لكمائم الأزهار في فقه الأئمة الأطهار وهو مختصر لكتاب شرح الأزهار** للامام احمد بن يحيى المرتضى. حققه عبدالله إسماعيل غمضان. صنعاء، مكتبة غمضان، د. ت، ٤ مجلدات.

إبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. **لسان العرب**. بيروت، دار صادر، د. ت، ١٥ مجلد.

أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود. **تقويم البلدان**. باريس، دي سلان ورينو، ١٨٤٠ م.

الإدريسي، أبوعبدالله بن محمد بن محمد بن عبدالله. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. روما، ISMEO.

الإصطخري: أبو الحق إبراهيم بن محمد. **مسالك الممالك**. تحقيق جابر عبد العال الحسيني. القاهرة، ١٩٦١ م.

بزرج [بزرك] بن شهريار. **عجائب الهند**. تحقيق محمد سعيد الطريجي. بيروت، دار إقرأ، د. ت.

البستاني بطرس. **محيط المحيط**. بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٣ م.

البيهقي: ، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي. **السُنَنْ الكبر**. بيروت، دار الفكر، ١٠ مجلدات.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. **الجامع الصحيح**. تحقيق احمد محمد شاكر. بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت، ٥ مجلدات.

الثعالبي، أبومنصور. **كتاب فقه اللغة وأسرار العربية**. بيروت، دار مكتبة الحياة، د. ت.

الحبشي، عبدالله محمد. **مصادر الفكر الاسلامي في اليمن**. صنعاء مركز الدراسات اليمنية، د. ت.

الحبشي، عبدالله محمد. **الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن ١٠٤٠ - ١٢٨٩ هـ/ ١٦٣٥ - ١٨٧٩ م**. د. م، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٦ م.

الحجري، محمد بن احمد. **مساجد صنعاء**. صنعاء، مطبعة وزارة المعارف، ١٣٦١ هـ.

الحجري، محمد بن احمد. **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**. تحقيق وتصحيح ومراجعة اسماعيل بن علي الأكوع. صنعاء، وزارة الإعلام والثقافة، ١٩٨٤ م. مجلدان.

الحميري، محمد بن عبد المنعم. **الروض المعطار في خبر الأقطار**. تحقيق إحسان عباس. بيروت، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٤ م.

حنبل، احمد. **مسند الإمام احمد بن حنبل**. القاهرة.

الحوثي، إبراهيم بن عبدالله. **نفحات العنبر في تراجم أعيان القرن الثاني عشر**. مخطوط.

الحيمي، احمد بن محمد. **حدائق النمام في الكلام على ما يتعلق بالحمام**. تحقيق عبدالله محمد الحبشي. بيروت، دار التنز ، ١٩٨٦ م.

الرازي، احمد بن عبدالله بن محمد. **تأريخ مدينة صنعاء**. تحقيق ودراسة حسين بن عبدالله العمري. بيروت، ودمشق، دار الفكر المعاصر، ط ٣، ١٩٨٩ م.

زبارة، محمد بن محمد بن يحيى. **أئمة اليمن**. تعز، مطبعة النصر، ١٩٥٢ م.

زبارة، محمد بن محمد بن يحيى. **نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف الى سنة ١٣٧٥ هـ**. صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، بيروت، دار الآداب، ط ٢، ١٩٨٥ م، ٣ مجلدات.

الشهابي، الأمير مصطفى. **معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية**. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٧ م.

الشوكاني، محمد بن علي. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٤٨ هـ.

الشوكاني، محمد بن علي. **اتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجدين ومن قام باليمن الميمون من قرنا الكتاب المبين وسيد الأنبياء والمرسلين**. صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى، ١٣٤٣ هـ.

العرشي، حسين بن احمد. **بلوغ المرام في شرح مسك الختام**. صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى، ١٩٣٩ م.

العظم، نزيه مؤيد. **رحلة في البلاد العربية السعيدة من مصر الى صنعاء**. القاهرة، نشر الحلبي، ١٩٣٠ م.

عمارة [اليمني]، نجم الدين بن علي. **تأريخ اليمن المسمّى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها**. حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع الحوالي. د. م، مطبعة العلم، ط ٣، ١٩٧٩ م.

العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله. **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ ممالك مصر والشام والحجاز واليمن**. تحقيق، مقدمة، فهارس، حواشي أيمن فؤاد سيّد. القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٨٥ م.

عيسى، احمد. **معجم اسماء النبات**. بيروت، دار الرائد العربي، ط ٢، ١٩٨١ م.

قانون صنعاء في القرن الثاني عشر الهجري. تحقيق حسين بن احمد السياغي. صنعاء، عبدالله إسماعيل غمضان، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت، دار صادر، د. ت.

المازندراني، موسى الحسيني. موسى الحسيني. **تأريخ النقود العربية**. بيروت، دار العلوم، ط ٣. ١٩٨٨ م.

المتقي الهندي . **كنز العمال ـ التراث الاسلامي. الهند ١٣١٣ هـ.**

مؤلف مجهول. مفتاح الراحة لأهل الفلاحة. تحقيق ودراسة محمد عيسى صالحية وإحسان صدق العمد ـ السلسلة التراثية ٩ ـ الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤ م .

المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. بيروت، دار الفكر، ط ٥، ١٩٧٣ م. ٤ مجلدات .

المظفر [الملك] يوسف بن عمر بن علي بن رسول. **المعتمد في الأدوية المفردة**. تصحيح وفهارس مصطفى السقا . بيروت، دار المعرفة، ط ٣، ١٩٧٥ م .

معجم ما استعجم. تحقيق مصطفى السقا. القاهرة، ١٩٤٥ ـ ١٩٥١، ٤ مجلدات .

المقحفي، إبراهيم محمد. **معجم البلدان والقبائل اليمنية**. صنعاء، دار الكلمة، ط ٣، ١٩٨٨ م .

المقدسي . **احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم . السلسلة الجغرافية ـ ١ . بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٧ م .

المنجد في الأعلام. بيروت، دار المشرق، ١٩٧٦ م .

النيسابوري . **المستدرك للحاكم النيسابوري على الصحيحين**. طبعة بيروت مصورة .

الهمداني، الحسن بن احمد. **الإكليل**، الجزء الثامن. بيروت، دار التنوير، ١٩٨٦ م .

الهمداني، الحسن بن احمد. **صفة جزيرة العرب**. تحقيق محمد بن

علي الأكوع. صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط ٣، ١٩٨٣ م.

الهمداني، ابن الفقيه. **البلدان**. ليدن، بريل، ١٨٨٥ م.

الواسعي، عبد الواسع يحيى. **تأريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتأريخ اليمن**. د. م، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٩٨٤ م.

ياقوت، شهاب الدين أبي عبدالله بن عبدالله، الحموي الرومي، البغدادي. **معجم البلدان**. بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٤ م، ٥ مجلدات.

الفهرس

CENTRE FRANÇAIS D'ÉTUDES YÉMÉNITES

WAṢF ṢAN‘A’

" mustall min al-manšūrāt al-ğaliyya"

**Ğamāl al-Dīn ‘Alī b. ‘Abd Allāh b. al-Qāsim
b. al-Mu’ayyad bi-l-Lāh Muḥammad b. al-Qāsim
b. Muḥammad al-Šahārī**

EDITION ETABLIE PAR:

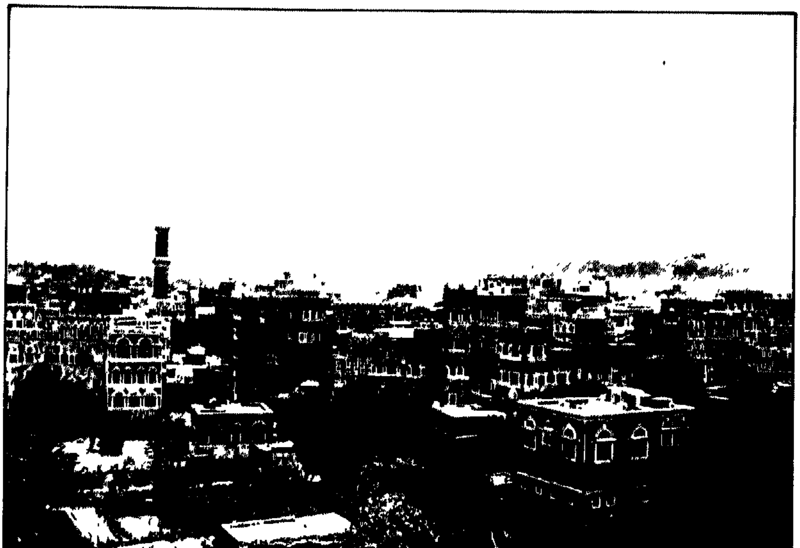
‘ABD ALLĀH MUḤAMMAD AL-ḤIBŠĪ

CENTRE FRANÇAIS D'ÉTUDES YÉMÉNITES

المركز الفرنسي للدراسات اليمنية

WAṢF ṢAN'A'

" mustall min al-manšūrāt al-ğaliyya"



Ğamāl al-Dīn 'Alī b. 'Abd Allāh b. al-Qāsim b. al-Mu'ayyad bi-l-Lāh Muḥammad b. al-Qāsim b. Muḥammad al-Šahārī

EDITION ETABLIE PAR:

'ABD ALLĀH MUḤAMMAD AL-ḤIBŠĪ